

وَمِنَ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاحَةِ وَالْإِشْرَافِ الْقَوْمِي

أحياء التراث القديم

المنصفيات

أذكرت روعة المسجدين والمزبدين
ومن لم يرو... الأشعار المنصفة
فإنهم كانوا لا يقدرون من الرواة
الحافظ

جمعتها وحققها

عبد المعين البلوشي

مدير إحياء التراث القديم

المقدمة

الحياة كانت وما تزال ميدان حرب مستمرة لا تنكأ تحبوا لها
تأر : حرب بين الانسان وعناصر الطبيعة ، وحرب بين الانسان والانسان ،
ولسنا في صدد الحديث عن الحرب الأولى ، وإنما الذي يعنينا الحديث عن
الحرب الثانية .

في هذه الحرب نجد المقاتلين ممن يسطلون بحرها تتوزعهم نتائج
المعركة فهم بين منتصر ومنهزم ، ونجد المنتصر يقف من نصره أحد موقفين :
موقف المنتصر الذي يسكره النصر ، فيملأ الدنيا زهواً بالغالب
وسخرية بالمغلوب .

وموقف المنتصر الذي يتواضع للنصر ولا يسخر بالمهزوم ، ويعرف
أن الذي ينتصر لا يبقى له نصر ، وأن الذي ينهزم لا تدوم عليه هزيمة .
وكذلك يقف المهزوم أحد موقفين : موقف المهزوم الذي ينكر هزمته
ويشتم المنتصر ، وموقف المهزوم الذي يعترف بهزمته وينصف أعداءه الذين
هزموه وينصف منهم نفسه .

وكثير من فرسان العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام وحتى

في عهد بني أمية ، كانوا شعراء يسجلون أنباء قبائلهم ويفتخرون بانتصاراتها
ويعتذرون عن انهزامها ، وقد رأينا الفارس الشاعر العربي يقف من هذه
الانتصارات والهزائم أحد ذينك الموقفين الذين يقفها المنتصر أو المهزوم :

إما أن يملأ ماضيه فخراً بنفسه وبقبيلته وهزءاً بالمغلوب وازدراء
له ، ويكون بهذا فارساً مرة واحدة ، وإما أن يعترف بشجاعة المهزوم ،
فيغض من كهرياء الغالب وغروره ، وينصف عدوه ويذكر شجاعته وجراته ،
فيكون فارساً مرتين ، فارساً لأنه انتصر ، وفارساً لأنه أنصف عدوه .
وكذلك كان يفعل عند الهزيمة .

كان الشعراء الفرسان في الأدب العربي يمثلون الاتجاهين كليهما ،
فمنهم من رأى نفسه وحدها فأعشته عن رؤية عدوه ، ومنهم من رأى نفسه
ورأى عدوه فأنصف نفسه من عدوه أو أنصف عدوه من نفسه .

ونحن في هذا الكتاب سنقف طويلاً عند الفريق الثاني ، لأنه يمثل
نموذجاً رائعاً من نماذج الفروسية العربية أخلاقاً وتقاليده وسلوكاً .

• • •

موقف الشعراء الفرسان في المعركة وانصافهم

قال أحد الكتاب المعاصرين :

« عندما تنشب المعركة يكون في كلا الصفين أبطال . » ومع
ذلك فلا بد أن يتتصر فريق على فريق . وفي كل معركة يصارع فيها
الانسان أخاه الانسان لا بد من غالب ومغلوب ، وقد يكون الغالب

أحياناً ليس أكثر شجاعة من المغلوب ، ولا المغلوب أقل إقداماً من الغالب .
وتبقى عقابيل المعركة دائماً : إكليل غار على رأس منتصر ، وقيد حديد في
رجل منكسر ، وكثيراً ما يتبادل الغالبون والمغلوبون أكليل الغار وقيود
الحديد ، حين لا تكون المعركة حاسمة ، ولعل العرب من أجل ذلك سموا
معاركهم « أياماً » ولعلهم من أجل ذلك قالوا كلمتهم تلك المشهورة المأثورة :
« الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ،
وإذا كان عليك فاصبر . »

والى ذلك أشار فروة بن مسيكة المرادي حين قال ، وقد هُزِمَ
في يوم من أيام همدان ومراد (*) :

إِن نَهَزِمُ فَهَزَامُونَ قَدْماً

وَإِن نُهْزِمُ فَغَيْرُ مُهْزَمِينَ^(١)

وَمَا إِن طِبْنَا جَبْناً وَلَكِنْ

مَسَايَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَ^(٢)

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ

تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ حِينَ فَحِينَا^(٣)

(*) انظر المقطوعة في ص ١٢٩

(١) مُهْزَمٌ : كثير الانهزام ، معود عليه .

(٢) الطب : العادة والسبب .

(٣) سجال : جمع سجل وهو الدلو : أي مرة لك ومرة عليك من مساجلة المستقيين .

على البئر .

هؤلاء الأبطال من أجدادنا العرب الذين ذاقوا جلاوة النصر حيناً
ومرارة الهزيمة حيناً ، لا يبطرون اذا انتصروا ، ولا يجزعون اذا انكسروا ،
فكانوا في النصر منصفين يعترفون بما أبداه أعداؤهم من ضروب الشجاعة
والاقدام ، وكانوا في الهزيمة منصفين يعترفون لأنفسهم بما أبدوه من فنون
الحرب والضرب ، وكانوا حين ينقشع الغبار عن جيشين ليس بينهما منتصر
ولا منهزم منصفين يعترفون بما أبدوه هم وأعداؤهم من بسالة في الرمي
والطعن والضرب ، ولكن المعركة أجلت عن قتلى من الفريقين كلهم كرام ،
وعن أسرى من الفريقين كلهم رجال ، وعن جرحى بين الفريقين لهم أحاح
في الصعيد أقعدهم عن السرى ثقل الكلى .

موقف نبيل في الحالات الثلاث : في النصر ، وفي الهزيمة ، وحين
لا يكون نصر ولا هزيمة ، موقف يتجلى فيه احترام البطل للبطل و إعجاب
الكمي بالكمي وتقدير الرجل للرجل عبرت عنه أحسن تعبير حرقه بنت
النعمان بن المنذر حين وفدت على سعد بن أبي وقاص فأكرمها وصاف
وجهها فلما سألوها قالت :

حاط لي ذمتي وأكرم وجهي

إنما يكرم الكريم الكريم

وكذلك لا يكرم الكريم المنهزم الا الكريم المنتصر .

• • •

الانصاف في العلاقات الاجتماعية

هذا الانصاف في الحرب ، وله وجوه ثلاثة - سنعود إليها مرة أخرى في تفصيل وإسهاب - يقابله انصاف آخر في المجتمع وفي العلاقات بين الناس وقد استطعنا أن نتبين له وجهين اثنين :

ففي هذه الحياة المزدهمة بأنماط من الناس وألوان من الأحياء وضروب من الأهل والأصدقاء لابد أن يختار الإنسان ، وهو اجتماعي بالفطرة ، أخاً له وصديقاً ، وأنت من هذا الصديق ذو مواقف : تكرمه فيكرمك وتمحضه الاخاء فيمحضك ، أو يكون بين بين ، تتصاحبان على حذر صعبة من لا يريد أن يجعل من صديقه عدواً ، فلا يكشف له غطاء . ولقد عرف العرب ذلك النوع من الاخاء المحض ، وهذا اللون من الصداقة الحذرة فسجلوهما في الشعر وعدوهما لوناً من الانصاف .

قال الطبرسي ، وقد شرح أبياتاً للعباس بن مرداس من باب المنصفات :

« وهو من باب التناصف ، وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في إحاض الاخاء قد سموها المنصفات^(١) . »

إحاض الاخاء هو الوجه الأول من الإنصاف الاجتماعي ، وقد أدركه الطبرسي ، ولكننا رأينا له وجهاً ثانياً :

(١) خزانة الأدب ج ٣ : ٥١٧ - ٥٢١ .

نحن في كثير من الأحيان لانحب انساناً ما ولا نحب أن يحبنا
هذا الانسان ، نجاهره بالعداوة دون رياء ، نصارحه بكرهنا دون ستار ،
ونعرف أنه لا يحبنا كما لانحبه ، ويجاهرنا بالعداوة كما نجاهره ، وعندئذ
تنصفه وينصفنا ، ولم يذكر الطبرسي هذا اللون من الانصاف ولكن الشاعر
العربي أدركه بفطرته السليمة وذكائه الأصيل ، فأنصف في البغضاء الخالصة ،
كما أنصف في الاخاء المحض ، وذلك حين قال علي بن بدّال السلمي (*) :

لعمرك إنني وأبى رياح

على طول اتجاور منذ حين^(١)

ليبغضني وأبغضه أيضاً

يراني دونه وأراه دوني^(٢)

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخبر اليقين^(٣)

• • •

وجوه الانصاف

وهكذا نجد للمنصفات وجوهاً خمسة ، ثلاثة وجوه منها في الحرب ،
وجوهين في السلم :

(*) انظر المنصفات ص ٣٠ ، ٣١

(١) و (٢) و (٣) معنى الأبيات واضح ، وهي انصاف كامل في البغضاء ، وما
أقوى صورة الأعداء فجزي دماؤهم بعد الذبح في طرق مختلفة ، حتى ماثلتني في الموت .

عندما ينتصر العربي في المعركة فلا يهجو أعداءه المهزومين ، بل يذكر أنهم كانوا شجعاناً ، وعندما ينهزم العربي في المعركة فلا يستحي أن يقول : إن هزيمته لم تكن عن جبن ، ولكن أعداءه كانوا أكثر منه عدة وعدداً ، وعندما يلتقي بأعدائه فلا تتجلى المعركة عن منتصر ولا منهزم ، وإنما هم أكفاء في الحرب متساوون في تحمل أوزارها وأثقالها ، فيذكر ذلك فينصف من نفسه ومن عدوه ، وعندما يخلص المودة فيقابه أخوه بالمودة الحالصة ، وعندما يجاهر بالعداوة فيقابه بندءه بالعداوة جهاراً ، خمسة وجوه للانصاف أبدعت لوناً أدبياً رائعاً من ألوان أدبنا العربي سمي « المنصفات » وتركت لنا نماذج رفيعة ، حاولنا أن نجمع منها ما يمكننا منه جهد الطاقة في هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه هذا اللون الأدبي الطريف .

. . .

مصادر شعر الانصاف

والحق أن المنصفات على شهرتها وقيمتها لم نعلم أنها جمعت قديماً ولا حديثاً في كتاب واحد ، وإنما هي أسات نثرت في بطون الكتب : في دواوين الحماسة وفي كتب الاختيارات .

وقد استطعنا أن نجمع أكثرها من هذه المصادر الأساسية :

١ - حماسة أبي تمام .

٢ - حماسة البحتري .

٣ - حماسة ابن الشجري .

٤ - الأشباه والنظائر .

٥ - الأصمعيات .

٦ - الوحشيات .

٧ - الشعر والشعراء .

وهناك مصادر فرعية أخرى وقفنا فيها على البيت والبيتين .

• • •

قيمة شعر الانصاف

أول من أشاد بالمنصفات - فيما نعرف - الجاحظ في كتابه
البيان والتبيين حين قال (*) :

« وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ، ومن لم يرو أشعار
المجانين (العشاق) ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب ، والأرجاز
الأعرابية القصار والأشعار المنصفة فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ... » .

ورغم هذه القيمة التي قررها الجاحظ للأشعار المنصفة لم نجد من
تصدى لجمعها في كتاب واحد ، وتصنيفها حسب لون الانصاف فيها ،
وبقيت هكذا مبعثرة في بطون المختارات .

• • •

(*) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق هارون ج : ٤ : ٢٣ .

بواعث الشعر المنصف وجوانبه

لم يكن الانصاف في الشعر العربي ، حين نجد نماذجه المختلفة ، نزوة عابرة أو عاطفة نبيلة موقوتة ، وإنما كان الانصاف في الغالب نتيجة من نتائج الحروب الطويلة العنيفة التي خاضها العرب في صحرائهم ، على أعدائهم حيناً ، وعلى أصدقائهم حيناً ، وعلى بني عموماتهم حيناً ، بل على إخوانهم أحياناً إذا قست عليهم الطبيعة وأجحفت بهم السنوات فأعزقت العظم واللحم .

إن هذه الحروب علمتهم أشياء كثيرة ، علمتهم أنها تقتضي أول ما تقتضي رجولة كاملة : في حب الموت ، والاقدام على الهول ، والصبر عند المسكاره ، وتقتضي ثاني ما تقتضي استعداداً كاملاً في آلات الحرب : في الدروع السابغة ، والرماح النافذة ، والسيوف القاطعة ، والخيول الصابرة ، وهذا فارس من فرسان العرب يذكر بعض ما أعده هو وأعداؤه للحروب ؛ فكل مقاتل يجري الى يوم القتال بما استعد . قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي يعدد آلة حربه ولبوس أعدائه في المعارك (*) :

أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا

بَغَةً وَعَدَاءَ عَلَنَدَى^(١)

(*) الحماسية ٣٤ . وكان عمرو ممن يصدق في شعره أحياناً .

(١) الحدثان : الحوادث . السابغة : الدرّح الواسعة ، والعداء : الفرس الكثير

الجري ، العلندی : الغليظ الشديد من كل شيء .

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَقُـ
سَدُّ الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ قَدًّا ^(١)
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا
لِكَ مَنَازِلُ كَغَبَاً وَنَهْدًا ^(٢)
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ
سَدَّ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدًّا ^(٣)
كُلُّ أَمْرٍ يُخْرِى إِلَى
يَوْمِ الْهِيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا ^(٤)

والعرب ، وقد استعدوا للقتال ، وأخذوا أهبتهم من قوة ومن
رباط الحيل ، يعلمون بعد ذلك أن الحرب ليست لهواً ولا لعباً ، وإنما
هي جد وهول ، بل إن امرأة عربية ذقت مرارة الحروب ونتائجها في
أخويها ثم في أبنائها ، وعرفت أن الحرب ليست كلمة تقال ، وإنما هي
كارثة تقع ، وأهوال تحل ، وأحباب يفارقون ، وتشكل يوجع ، فإذا

(١) النهْد : المرتفع تنمة لصفة الفرس في البيت السابق ، ذو شطب : ذو خطوط
وهو السيف ، البيض : جمع بيضة وهي الخوذة ، وبقد : يقطع .

(٢) كعب ونهد : قبيلتان .

(٣) تنمروا : أجود المعاني أنهم إذا لبسوا الدروع واليلب تشبهوا بالنمر في أفعالهم
في الحرب . والحلق : الدروع المنسوجة حلقتين حلقتين . والقيد : درع يتخذ من الجلد .

(٤) يوم الهياج : يوم الحرب .

هي تقول^(١) :

تعرقني الدهر نهساً وحزاً
وأوجعني الدهر قرعاً وغمزاً
أصاب رجالي فأفناهم
فأصبح قلبي بهم مستفزاً
وكانوا السنام على قرومهم
وزين العشيّة بذلاً وعزاً

ثم تجمع هذه النتائج الرهيبة في هذا البيت الحكيم العاقل :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب

بأن لا يصاب فقد ظن عجزاً

نعم إن « من دخل الحروب وقارع الأبطال وظن أنه لا يصاب بشيء من الضرب والطعن ونحو ذلك ، فقد ظن ظناً باطلاً^(٢) » وتبقى الحرب ناراً تذهب خيلاء موقدها ، ولا يصبر لها إلا الفتى المقدم والفرس الوقح ، أما الأوشاظ والأذئاب فيتساقطون .

وهذا سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جدد طريقة ابن العبد يحدد أبعاد المعركة وتكاليف الحرب ، وينعي على المتخاذلين

(١) حماسة ابن الشجري المخطوطة الظاهرية ص ٣٠

(٢) شرح درة الغواص للخفاجي ، ص ٢٥٦

قعودهم عنها فيقول (*):

يا بؤسَ للحرب التي	وضعت أراهاطَ فاستراحوا ^(١)
والحربُ لا يبقى لجأ	حما التخيّل والمراح ^(٢)
إلا الفتى الصبارُ في الـ	نجدات والفرسُ الوقاح ^(٣)
والنثرةُ الحصداء والـ	بيض المكلّل والرماح ^(٤)
وتساقطُ الأوشاطُ والـ	ذنّباتُ إذ جهدَ الفضاح ^(٥)

(*) حاسة أي تمام ص ١٦٤ قال سعد هذه القصيدة في حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب واعتزل عنها الحارث بن عباد . وقال : هذا أمر لاناقة لي فيه ولا جمل فعرض به سعد لقعوده عن الحرب .

(١) يابؤس : للحرب : اللام فيه لتأكيد الإضافة أي يابؤس الحرب . ووضعت : تركت . والأراهاط : جمع رهط .

والمعنى : أسفاً على داهية الحرب التي تركها جماعة فاستراحوا من شدائدّها التي بها نيل المكارم .

(٢) الجاحم : الملهب . والتخيّل : الخيلاء . والمراح : النشاط .

والمعنى : ان الحرب داهية لا يبقى لمن يصطلي حرها تخيّل ولا مراح فالتذي يجربها يعلم حقيقةّها .

(٣) النجدات : الشدائد ، والوقاح : الشديد الحافر .

والمعنى : لا يقوم لحومة الحرب الا الفتى الحابس نفسه على الدواهي ، والفرس الصلب الحافر .

(٤) النثرة : الدرع الواسعة . الحصداء : المحكمة النسج . المكلّل : المسمّر بالمسامير أي لا يشيت للحرب الا الفتى والفرس . وهذه الأشياء التي هي أدوات الحرب وبها التحصن .

(٥) الأوشاط : الأخلاط . الذنّبات : الأتباع . الفضاح : الفضيحة .

والكر بعد الفر إذ كُرهَ التقدم والنطاح^(١)
كشفت لهم عن ساقها وبدأ من الشر الصراح^(٢)
من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيسٍ لأبراح^(٣)
صبراً بني قيس لها حتى تريحوا أو تراحوا^(٤)

وهذا قطري بن الفجاعة ، وهو فارس من فرسان العرب ، له
عقيدة كان من أشد المدافعين عنها ، يضع دستوراً للحرب ، ولا يرى في
تساقى الموت في الحرب علراً فيقول : (*)

ألا أيها الباغي البرازَ تقرَّبَنُ

أساقِكَ بالموتِ الذُعافِ المَقشَّبِ^(٥)

— والمعنى : ان الحرب لاحظ فيها الأوشاظ والذنبات اذا بلغ الأمر الفضيحة ، فانهم
يسقطون عندئذ ويكون المعول على الرجال لما لهم من صدق العزيمة عند اللقاء .

(١) معنى البيت : لا تظهر حمدة الكر بعد الفر الا حين يعز التقدم والمناطحة .

(٢) معنى البيت : اشتدت غمرات الحرب وبدأ محض شرها .

(٣) معنى البيت : من أعرض عن الحرب خوفاً من شرها ، فأنا ابن قيس صاحب
النجدة ، لأبراح لي عن هذه المعركة الا أن أغلب أو أقتل .

(٤) معنى البيت : اصبروا يا بني قيس لهذه الحرب حتى تقتلوا أعداءكم فتريحوهم
من شرها ، أو يقتلوكم فيريوكم من شرها .

(*) حماسة أبي تمام — ٢٢٧ —

(٥) الذعاف : سم ساعة . والمقشب : الذي خلط بما يقويه .

والمعنى : أيها الطالب مبارزني تقرب مني أفعل بك مايقوم مقام سم ساعة .

فما في تساقى الموت في الحرب سُبَّةٌ

على شاريه ، فأسقني منه واشرباً^(١)

ومن البداة - وقد عرف العرب ما في الحروب من مأس - أن يعرفوا أن هذه المأسي لا تتال جانباً دون جانب ، ولا تلحق فئة دون فئة ، بل إن القروح تتساوى ، ولئن أصاب هؤلاء قرحٌ فقد أصاب أولئك قرح مثله ، ولئن مات فلان اليوم فسيموت فلان غداً ، فالموت ليس عاراً على الفتیان ، والكریم ليس محرماً على سيف ولا سنان . وهذا عنزة يصف خصمه الذي قتله فلا يبخسه حقه ولا يقلل من شأنه ، وإنما هو يصفه بالشجاعة والنجدة والبأس ، ومع ذلك فقد قتله عنزة ، والقتل معروف للأبطال :^(٢)

وَمُدَّجَجٍ كَرِهَ الْكِمَاءُ نِزَالَه

لا ممعنٍ هَرَباً ولا مُستسلمٍ

جاءت له كفي بعاجلٍ طَعْنَةٍ

بُمُتَّقَفٍ صَدَقِ الْقَنَاءُ مُقَوِّمٍ

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصْمُ ثِيَابَهُ

ليس الكريم على القنا بِمُحَرَّمٍ

(١) السبة : العار . والمعنى : انه لا عار في الحرب اذا سقى كل انسان صاحبه كأس الموت فيها . وأصل اشرباً « اشربن » فحذف النون .
(٢) ديوان عنزة : المعلقة .

وهذا مهلهل بن ربيعة يلتقي بأهله وبني عمه في معركة « غنيزة »
فإذا هو وهم « رحيا مدير »

كأنا غـدوةً وبني أـيننا

بجنب غـنيزة رـحيا مـدير^(١)

وفي رواية أخرى كأنها « ركننا ثبير » :

غـداة كأننا وبني أـيننا

بجنب غـنيزة رـكننا ثـبير^(٢)

ومن أجل هذا البيت قيل : ان أول من أنصف في شعره مهلهل
ابن ربيعة ، وليس ذلك صحيحاً فسترى في كتابنا هذا شعراء منصفين
تقدموه في الانصاف كما تقدموه في الزمن .

والشاعر الفارس العربي يجب أن يتصر على أعدائه بلسانه لا
بلسانه ، فأن تشتم أعداءك بلسانك أمر سهل ، ولكن الرجولة كل
الرجولة ، أن تجهل يداك ويعف لسانك ، وأن يتصر سيفك ويحلم
رأيك . قال معبد بن علقمة ، وهو شاعر مخضرم صحابي ، شهد فتح
مكة (*) :

(١) الأصمعيات : ص ١٧٤ . تحقيق شاکر وهارون .

(٢) كتاب بكر وتغلب : المنسوب الى محمد بن اسحاق ص ٧٢ .

(*) ديوان الحماسة لأبي تمام رقم ٢٠٣ .

فَقُلْ لَزَهْرٍ إِن شِئْتَ سَرَاتِنَا

فَلَسْنَا بِشَتَامِينَ لَلْهُتَشْتَمِ

وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ وَنَعْتَصِي

بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُصَمِّمِ

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَخْلُمُ رَأْيُنَا

وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمْ

ومن الشعراء من كان يصل في وصف شجاعة أعدائه والشهادة لهم
بالبسالة الى حد يُسَوِّغ فيه هربه منهم وفراره عنهم ، وقد صنع ذلك
الحارث بن هشام الخزومي شقيق أبي جهل ، وهو شاعر مخضرم شهد
غزوة بدر مع المشركين وفر عن أخيه أبي جهل فعيّره بذلك حسان بن
ثابت في قصيدة يقول فيها يخاطب نفسه (*) :

إِن كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي

فَنَجَوْتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

بَرَكَ الْأُحِبَّةَ أَنِّي يُقَاتِلُ عَنْهُمْ

وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ

(*) حجة أبي تمام ٣٧٠ .

فأجابه الحارث بن هشام وهو مشرك يومئذ بهذه الأبيات يعتذر
فيها عن فراره من المسلمين :

الله يعلم ما تركت قتالهم
حتى علوا فرسي بأشقر مُزبد^(١)
وشممت ريح الموت من تلقائهم
في مازقٍ والخيل لم تتبدد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً
أقتل ، ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدت عنهم ، والأحبة فيهم
طمعاً لهم بعقاب يوم مُرصد^(٢)

وقد تنتصر قبيلة على قبيلة ، فإذا ساعر المنتصرين لا يظلم المهزومين ،
بل هو ينصفهم من نفسه وأهله .

قال العباس بن مرداس وقد هزم قومه أعداءه (*) :

-
- (١) يقول : انه لم يهزم حتى سال دمه على فرسه أو أصابه دم فرسه .
(٢) يقول : أعرضت عنهم وفيهم أخي أبو جهل ورهطه من أهل مكة فقتلوا
وأسروا لطمعي في أن أحارب المسلمين في يوم يمكنني منهم .
أسلم الحارث وحسن اسلامه واستشهد في وقعة اليرموك عام ١٥ هـ .
(*) انظر ترجمته في المنصفة الثالثة . والبيتان في حاسة ابن الشجري طبعة حيدر
آباد ص ٣٥ - ٣٦ .

هَزَمْنَا إِذْ لَقِينَا جِيْشَ رَعْلٍ
وَذَكَوَانًا وَجَمَعَ بَنِي خُفَافٍ^(١)
وَمَا إِنْ طَبَّهْمُ جُبَيْنٌ وَلَكِنْ
رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي^(٢)

وهكذا يلتقي الشاعر المهزوم فروة بن مسيك المرادي (*) بالشاعر المنتصر العباس بن مرداس السلمي في المعنى بل يلتقيان أيضاً في اللفظ ، فما طب المهزومين الجبن في رأي المهزوم ورأي المنتصر على حد سواء .
والحرب سجل مرة ينتصر هذا ومرة ينتصر ذاك ، وقد قال مسور بن زيادة الحارثي (**):

أَنْخَمَ عَلَيْنَا كُلَّكَ الْحَرْبَ مَرَّةً
فَنَحْنُ مَنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّكَ^(٣)

(١) و (٢) رعل وذكوان وخفاف : أسماء قبائل حاربها بنو سليم فانتصروا عليها .
الطب : مر تفسيرها ، السبب والعادة . ثالثة الأثافي : كناية عما لا يطاق من الأمر .
وأصل الأثافي جمع : أثفية ، وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها . وفي لسان العرب : الأصعي : من أمثالهم في رمي الرجل صاحبه بالمعضلات : رماه الله بثالثة الأثافي .
ومعنى البيتين : لقد هزمنا أعداءنا لأنهم جبناء ولا لأن من عادتهم الفرار ، ولكننا كنا أكثر منهم عدداً وعدداً فلم يطبقوا لقاءنا .

(*) انظر الأبيات ص

(**) حاشية أبي تمام رقم ٦٢ .

(٣) إناخة الكلكل : كناية عن القهر والابادة . والكلكل : في الأصل الصدر فضربه هنا مثلاً وهو يهدم بأنه سيكافئهم على ما بدؤوا به .

هذان الجانبان من الإنصاف : جانب المنتصر الذي لايتهم المهزم ،
وجانب المهزم الذي لايتهم نفسه ، ثم لايتهم المنتصر ، لها أخ ثالث ،
هو جانب ذلك الذي خرج من المعركة غير منهزم ولا منتصر ، خرج
بجور سيفه المنحني ، أو رمحه المنكسر ، خرج بضمد جراحه ، بل
خرج ليدفن قتلاه قبل أن تجعلها الضباع لها عرساً ، وفي الوقت نفسه
خرج معه عدوه بجور سيفه المثلوم أو رمحه المنكسر ، خرج بضمد
جراحه ، بل خرج ليدفن قتلاه قبل أن تعرس بها الضباع .

هذا الجانب الثالث هو الذي غلب على المنصفات ودخل في شرط
حدّ الطبرسي لها .

الشاعر العربي في هذا الموقف الثالث وجدناه منصفاً أيضاً كما
وجدناه من قبل ، إنه يكاد يكون ميزان صدق ، وقسطاس حق ، انه
يمثل العدل الذي يقرب أن يكون كاملاً ، يضع أعداءه في كفة ويضع
قومه في كفة ، وتترجع الكفتان مرة تميل هنا ، ومرة تميل هناك ،
والشاعر العربي يسجل ذلك كله ، ثم لا يضع سيفه في إحدى الكفتين
كما فعل مرة ذلك القائد المنتصر حين وضع سيفه الثقيل في ميزان يزن
به المهزومون الذهب لمنتصرين ثم قال قوله تلك المدوية كانت وما تزال
في آذان المغلوبين :

« الويل للمغلوب » .

الشاعر العربي في مثل هذه الحالة يظل رابط الجأش ، لا يدعي
النصر ، ولا نصر ، ولا يخاف الهزيمة ، ولا هزيمة ، وقصائده المنصفات هنا
تصل الى أروع مستوى من العدل والصدق ، بل ان الناس لا يسمونها

« المنصفات » كما تعودنا أن نقول ، وإنما يسمونها « المنصفات » كأن القصيدة جعلت نصفين بين القائل وعدوه^(١) فالبيت الواحد شطران : شطر له وشرط لعدوه ، فإذا كان البيت الواحد كله له أتبعه بيتاً ثانياً كاملاً لحصمه ، وهكذا دواليك .

• • •

القصائد المنصفة في الشعر العربي

قال الخالديان في الأشباه والنظائر^(٢) :
ذكرت الرواة أن منصفات أشعار العرب ثلاثة أشعار : فأولها قصيدة عامر بن معشر بن أسحم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا

فَنَيْتُنَا وَنَيْتَهُمْ فَرِيقُ

والمنصفة الثانية لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهنّي :

(١) الأشباه والنظائر : تحقيق محمد يوسف : هكذا ضبطت الكلمة في النسخة المغربية ج ١ ص ١٥٠ وما بعدها .

(٢) الأشباه والنظائر : الخالديان تحقيق محمد يوسف : ج ١ : ١٥٠ - وما بعدها ونقلناها في اختصار .

وسوف نذكر الخلاف في الرواية وفي أسماء الشعراء ، وفي عدد الأبيات في صلب الكتاب .

أَلَا حَيَّتْ عَنَّا يَا رُدَيْنَا
نُحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

والمنصفة الثالثة للعباس بن مرداس السلمي :

لَأَسْمَاءَ رَّبْعٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا
وَأَقْفَرَ مِنْهَا رَحْرَحَانٌ فَرَاحِسَا

ولكننا وجدنا أن هذه المنصفات أكثر من ثلاث ، بل وجدنا منها ستاً طوالاً ، ووجدنا مقطوعات أخرى ليست بقصيرة وكلها من المنصفات وقد سماها القدماء كذلك ، فالمنصفة الرابعة ، ذكرها الطبرسي حين قال بعد أن أورد بيت المهلهل ، وهو بيت منصف مفرد^(١) . ومن المنصفات قول الفضل بن العباس بن أبي لهب^(٢) :

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهِينُونَا وَنَكْرَمَكُمْ
وَأَنْ نَكْفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا

وهذا البيت من قصيدة استطعنا أن نعثر منها على خمسة أبيات ، وهي المنصفة الرابعة .

وتأتي المنصفة الخامسة ، وهي لأبي عروبة المدني وأولها قوله^(٣) :

(١) الخزانة ٣ : ٥٢٠ - ٥٢١ المصدر نفسه .

(٢) حماسية أبي تمام رقم ٥٣ .

(٣) حماسية أبي تمام رقم ٦٦ من باب الأضياف والمديح .

إني وإن كان ابن عمي غائباً

لمُقَازَفٍ من دونِهِ وَوَرَائِهِ

بل لقد وردت قصيدة أخرى سميت بالمنصفة ، استشهدا أحد
الأمراء وهو عمر بن هبيرة الفزاري صاحبها أبا الأخيل العجلي - كما روى
أبو رياش - فقال له أنشدنا منصفتك فأنشده قوله (١) :

ألا يا أسلمي ذات الدماليج والعقد

و ذات الثنايا الغر والفاحم الجعد

فعددناها المنصفة السادسة .

فالقصائد المنصفات الطوال اذن ست ، منها اربع في الإنصاف
في الحرب ، واثنتان في الإنصاف في الإخاء ، وهناك مقطوعات أخرى ،
منها البيتان والثلاثة بل قد تصل بعض المقطوعات الى قصائد فيها أكثر
من سبعة أبيات ، أوردناها في آخر الكتاب ، منها ما هو في الحرب
ومنها ما هو في الإخاء أو في العداوة ؛ وقد يكون بعضها أشد دلالة
على الإنصاف من بعض القصائد الطوال وأقوى أسلوباً وأصفى روحاً .
وهكذا نجد الخالدين قد تعسفا حيناً لم يدخلوا في شرط المنصفات إلا ثلاث
قصائد .

نعم ان الخالدين ذكروا الأشعار المنصفة في الحرب ، وقالوا : إنها

(١) حاسة أبي تمام ، مختصر التبريزي ج ١ : ٤٢٧ .

ثلاثة ، وبذلك تخرج القصائد التي تتصف في الإخاء ، من شرطها في القصائد المنصفات ، ومنها قصيدة الفضل بن العباس اللهي ، ولكننا نجد قصائد أخرى في الحماسة والحرب ، هي من أحلى القصائد المنصفة وأقواها . ولعل الخالدين لم يستقصيا المنصفات في الشعر العربي .

لقد استطعنا أن نجمع من المنصفات ست قصائد وعدداً من المقطوعات غير قليل ، ولاندعي أننا استوفيناها ، بل إن كل أثر عربي يطل علينا من مخطوطات تراثنا العربي الأدبي المجيد يمكن أن يزيد في عدد القصائد وفي عدد الأبيات .

وهناك أبيات مفردة نعث عليها موزعة في قصائد كثيرة ، فيها إنصاف واضح ، ولكن القصيدة سرعان ما تعود الى موضوعها الأصلي في المدح أو الهجاء أو الفخر فتضيع روح الإنصاف الذي حمّله البيت الواحد وتذوب في جو المدح أو الفخر والهجاء . ومن ذلك البيت الذي ذكرناه للمهمل بن ربيعة ، ومن ذلك بيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي (*) :

عَجَّتْ نَسَاءُ بَنِي زِيَادٍ عَجَّةً

كعجيجٍ نُسَوِئنا غداةَ الأرنَبِ^(١)

(*) حماسة البحتري : تحقيق كمال مصطفى ص ٦٣ .

(١) عج : صاح ورفع صوته ومعنى البيت : لقد ندبنا كلات بني زياد قتلناهم كما ندبت نساؤنا ثكلاهم غداة يوم الأرنب . وقد أورد المعنى نفسه في قصيدة المفضل النكري . انظر ص ٢٣ .

أما جانب الحب فقد أوردنا في القصائد قصيدتين أولاهما وردت في نص الطبرسي وهي قصيدة الفضل بن العباس ، وثانيتهما قصيدة أبي عروبة المدني في ابن عمه .

وقد وقفنا على مقطوعات أخرى في الانصاف سنثبتها في آخر الكتاب ملحقه بالقصائد الست المنصفة .

وهكذا تم لنا خمسة جوانب من الانصاف ثلاثة في الحرب في حالة النصر والهزيمة والتعادل ، ورابع في الحب والإخاء ، وخامس في الحقد والبغضاء .

. . .

تقليد المنصفات

ولعل المنصفات بما فيها من روح العدل والصدق قد أعجبت بعض الرواة ، فدفعتهم إلى تقليدها في روحها وأسلوبها ، وهذه قصيدة رواها خلف الأحمر ، وأغلب الظن أنه هو الذي صاغها (*) :

قل لعمرٍ يا بنَ هندٍ لو رأيتَ اليومَ شَنَا^(١)
لرأتَ عيناكَ منهم كلُّ ما كنتَ تمَنَّى ؟
إذْ أتَّنا فيلقُ شمـ جاءُ من هَنا وهَنا^(٢)

(*) درة الغواص للحريري : ص ٩٢ - الشاهد ١٤٠ . خزانة الأدب للبغدادى الجزء الأول ص ٨٢ الشاهد ٢٢ . قال : ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلف الأحمر متهماً بالوضع .

(١) شن : قبيلة .

(٢) الفيلق : الجيش . وأنته باعتبار الكتيبة . وهَنَّا : بالفتح : اسم إشارة

للتقريب .

وَأَتَتْ دَوْسَرُ وَالْمَلِكُ	جَاءُ سَيْرًا مَطْمَئِنًا ^(١)
وَمَشَى الْقَوْمُ إِلَى الْقَوْمِ	مِ أَحَادِي وَمُشَيَّ
وُثْلَاثًا وَرُبَاعًا	وُخْمَاسًا فَأَطْعَنَّا
وَسَدَاسًا وَسُبَاعًا	وِثْمَانًا فَاجْتَلَدْنَا
وَتِسَاعًا وَعَشَارًا	فَأَصْبْنَا وَأَصْبْنَا
لَا تَرَى إِلَّا كَمِيًّا	قَاتِلًا مِنْهُمْ وَمِنَّا

. . .

الانصاف والظلم

ان ماوصلنا من شعر الانصاف قليل والشعراء الفرسان المنصفون الذين عرفناهم قلة ، ولعل مرد ذلك الى أن الانصاف في هذه الحياة ، ولا سيما في المعارك حين تتفجر الأحقاد وتنزو المظالم ، وتغزو المطامع النفوس ، شيء نادر جد نادر ، نعم ان في قول الكاتب « عندما تنشب المعركة يكون في كلا الصفين أبطال . » صواباً كبيراً وانصافاً واضحاً ، ولكن هذا الانصاف يتطلب كما يراه الناس أحد اثنين : يتطلب رجلاً محايداً يرى الصفين معاً ، أو رجلاً يرقى عن مستوى الصف الذي هو فيه ليرى مآثر عدوه كما رأى مآثر قومه وفجائع عدوه وفجائع قومه ، وقل ان

(١) دوسر : كتيبة للنعمان بن المنذر ، والملحاء كتيبة لآل المنذر .

يملك المحارب أعصابه ونفسه وعواطفه في مثل هذه المواقف . ولذلك وجدنا أكثر الشعراء يتجاهلون ، في المعنى العربي الأصل لهذه الكلمة ، أي يتروكون العدل والانصاف الى الظلم والبغي ، وكان الانسان أكثر المخلوقات ظمأ لنفسه ولأخيه .

وغريب أننا نجد بعض هؤلاء الشعراء من أصحاب المنصفات ينصفون في قصائدهم هذه ، فاذا قرأنا قصائد لهم أخرى وجدناهم أبعد ما يكونون عن الانصاف ، بل لقد وجدنا بعضهم في القصيدة المنصفة نفسها ينصف في أبيات ثم لا يلبث أن يتجاهل في أبيات ، فما أقسى ما يبذل الانسان من طاقته . ويراقب من عاطفته لبقى منصفاً .

اذن فان قيمة الانصاف في هذه القصائد القليلة ليست في عددها ، وإنما هي في موضوعها ، في هذا الجهد الانساني الحارق المتميز الذي بذله المقاتل الجريح المفجوع في ميدان الكلام ليرى في عدل وصدق ذلك الجهد الانساني الحارق المتميز الذي بذله المقاتل الجريح المفجوع في ميدان المعركة .

عندئذ نجد هذا البطل المقاتل الذي يحمل عدوه البطل المقاتل ، ويرى فيه عدواً في الحرب ، وأخاً وابن عم في السلم وكفئاً في القتال ، ونداً في الفعال .

بل نحن نجد من شعرائنا من يحمل على الانصاف ويقول عنه انه ذلة وخزي ، ويدعو الى الظلم والبغي والعدوان ، ويرى في ذلك عزة ومنعة وحزماً .

أما زهير بن أبي سلمى فقد برأناه من الدعوة الى الظلم في قوله :

ومن لا يذذ عن حوضه بسلاحه

يَهْدَمُ ومن لا يظلم الناس يُظلم

فزهير في قوله هذا يلجأ الى « المشاكلة » ويقصد من دعوته الى الظلم الدعوة الى القدرة على رد الظلم بالقوة الرادعة ، وذلك أمر نعرفه في زهير وفي حكمته التي هي خلاصة تجربته .

ولكن العباس بن عبد المطلب يحض أبا طالب على الظلم ورد النصف حتى حين ينصفه أعداؤه فيقول (*)

أبا طالب لا تقبل النصف منهم

وإن أنصفوا حتى تعق وتظالما

أبي قومنا أن ينصفونا وأنصفت

قواطع في أيماننا تقطر الدما

تركناهم لا يستحلون بعدهما

لذي حرمة يوماً من الدهر محرما

وهذا الصلتان العبدى أشد دعوة الى الظلم وإلى رد النصف حين

يقول : (**)

(*) حماسة البحتري ص ٦٠ - ٦١ .

(**) المصدر نفسه .

اغشّ الأمور بحزمها
حتى تكون الأحزما
واظلم فلست بمدرّك الـ
أوتار حتى تظلمما

ونجد شاعراً ثالثاً يعتبر النصف ظملاً ، وهو عبادة بن حريز حين
يقول (*) :

أرى النّصفَ أمراً قد تبيّنَ ظلمه

هو الحقُّ إلا أنّ ذا النّصفِ يُظلمُ

وهذا أبو الطيب المتنبّي في القرن الرابع يعتبر الظلم طبيعة انسانية
فيقول :

والظلمُ من شيم النفوس فإن تجذّ

ذا عفة فلعلّة لا يظلمُ

وينسى أبو الطيب في غمرة سخطه على الناس أن العدل والانصاف
من طبيعة الانسان ، وأن كراهية الظلم أعمق من الرغبة في الظلم وأن
الشعراء - وان اتبعهم الغاؤون - لم يكونوا كلهم ظالمين ، فقد وجدنا
منهم المنصفين ، وكان لنا من شعرهم الانصاف .

* * *

(*) حماسة البحتري : ص ٦٠ - ٦١ .

الجانب الخلفى فى الانصاف

هذا الكتاب يمثل الانصاف وهو الجانب الخلفى فى شعر الحماسة والفروسية ، ويظهر لنا أنه « لم يكن جانب الحرب^(١) » فى شعر الفرسان هو الجانب الغالب ، ولم تكن أصوات الرماح وقعقعة السيوف هي الأصدااء المتجاوبة فى قصائدهم وإنما كان الجانب الخلفى فى حياتهم لا يقل عن ذلك الجانب وضوحاً وتميزاً ، لأن البطولة الحربية كانت تقترن بالبطولة الخلقية عند هؤلاء الفرسان فى كثير من الأحيان ، فالكرم والايثار والنجدة والوفاء بالعهد والحفاظ عليه ، والحلم ورحابة الصدر وحماية الجار والدفاع عن المرأة والذود عن المستجير ، كل هذه المعاني كانت تتألق فى قصائدهم ، الى جانب الجرأة والاقدام والصبر على النائبات والشبات فى المعركة وخوض غمار الحرب والشجاعة فيها .

فعنزة فارس فى حروبه لأنه يبلى فيها بلاء محموداً وهو لا يخوض الحرب من أجل الغنيمة والاسلاب ، وهو فارس فى خلقه لأنه عفيف فى سلوكه ، لا ينظر الى جارته اذا غاب بعلمها . وربيعة بن مكدم (حامي الطعينة) بطل فى أفعاله ، لأنه دافع عن الطعينة دفاع المستميت ، والدفاع عن الطعينة يعنى الدفاع عن المرأة التى كلف حمايتها وسط صحراء لا ترحم ، ومن هنا كان هذا اللقب من ألقاب الفخر والاعتزاز لدى الفرسان ، وبطل فى مروءته لأن صفاتها متمثلة عنده . ومثلها دريد بن

(١) مجلة الأقلام العراقية : الجزء السادس : السنة الأولى ص ١٥٨ . مقال بقلم

الأستاذ نوري حودي القيسي .

الصمة وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد وحاتم الطائي وكعب بن مامة
الإيادي ، وغيرهم من فرسان الجاهلية الذين كانوا أبطالاً في حروبهم
وأخلاقهم ، وفرساناً في معاركهم ومثلهم العليا وسلوكهم الانساني الذي
رفعهم الى المرتبة السامية في عالم القيم ، وطبيعي أن يدفعهم هذا الخلق الى
أن يكونوا منصفين حتى لخصومهم ، لأن الفطرة العربية السليمة ، تملي
على صاحبها ذلك ، على الرغم من كل الاعتبارات التي كانت تحيط بالمجتمع
العربي آنذاك ، وعلى الرغم من كل القيم المتعارف عليها في خضم ذلك
الوسط القبلي المتزمت .

إن هذا الإنصاف ، وهذا الاعتراف لم يكونا من باب التفاخر
والتعالي أو التوصل الى اثبات شجاعة الفارس ، وإنما هو تقدير لمفهوم
الشجاعة وإعجاب بهذه الصفة المحيية الى نفوسهم دفعتهم الى الإيمان بكل
سبب يتصل بها ، فهم يدركون أن الموت يكمن لهم في رأس كل
ثنية ، وعند كل ثغر ، ولكن ذلك لم يقعد بهم عن السير ، ولم يمنعهم
عن الاستمرار في الطريق الذي رسموه لهم .

ومن هنا وجدنا هذا الفيض الزاخر من شعر الحرب وكل ما يتفرع
منه من جوانب خلقية وحرية ، أنصف بها أدبنا الجاهلي .

ان دراسة هذا الجانب الخلقى في شعر الحرب يوضح خطأ عريضاً
في الأدب العربي ، يحمل المثل العليا التي تفتقر اليها كثير من آداب
الأمم وبالتالي فهو جانب رفيع يستحق الاستقصاء والتتبع لاستكمال
لوازمه وابتناء هيكله العام .

وقد حاولنا في هذا الكتاب جاهدين أن نتبع المنصفات ما كان

منها قصائد ، وما كان منها مقطوعات وشرحناها وحللناها وبيننا مواضع الانصاف فيها ، ونرجو أن يكون هذا مقدمة لبحث أوسع وسبيلاً الى اكتشاف قصائد أخرى في هذا الموضوع الذي يمثل نموذجاً رفيعاً من نماذج أدبنا العربي الحُصْب ، وسلوكاً انسانياً نبيلاً في عالم المثل والقيم العليا .

• • •

خاتمة

لقد قال المثل القديم ، والأمثال تجارب الأجيال :
« لو أنصف الناس لاستراح القاضي » ولو كان لي أن أزيد عليه
لقلت : « لو أنصف الناس لاستراح الناس كل الناس » .
ذلك ان الانصاف يحول دون ظلم ، ويمنع كل أذى ، فلست
أطلب حبك ، ولكن كن منصفاً ثم افعل ماتشاء .
قال الجاحظ^(١) :

دخل رجل من قيس عيلان على عبد الملك بن مروان ، فقال له
عبد الملك : « زبيري ، عميري ، والله لا يحبك قلبي أبداً » فقال الرجل :
« يا أمير المؤمنين ! إنما يبكي على الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف . »
ولسنا نستطيع أن ننتهي من هذه المقدمة الطويلة ، دون أن نذكر رأي
شيخنا المعري في الانصاف والمنصفين حين قال :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣٧٦ ، ٢ : ٨٩ .

ولم يأتِ في الدنيا القديمة مُنصِفٌ

ولا هو آتٍ ، بل تظالمنا جزم^(١)

ورحم الله أبا العلاء فقد كان هو نفسه في طبيعة المنصفين ، لم يظلم أحداً من الناس بل إنه لم يشأ أن يظلم حتى الحيوان ، حين حرّمه على نفسه ، ولكن المتشائم مولع أبداً بروؤية الجانب الأسود من الحياة ، وفيه الظلم ، وبغَضِّ النظر عن الجانب الأبيض من الحياة ، وفيه الانصاف .
وكتابتنا هذا غمادج عربية من العدل والانصاف في أشد المواقف دعوة الى الظلم والاجحاف ، في قلب المعركة .

دمشق ٢٣ / ١ / ١٩٦٧

عبد المعين الماويحي

(١) اللزوميات : الطبعة الهندية ص ٢٢٨ . والجزم : الحتم والقطع .
قال المبرد : انما سمي الجزم في النحو جزماً لأن الجزم في كلام العرب القطع .
(لسان العرب مادة : جزم .)

التريسي *Academic 82*
Trrissy@hotmail.com

الْمِنْصِفَاتِ

الْمِنْصِفَاتُ الْأَوَّلَى

لِمَفْضَلِ الشُّكْرِ

• الشاعر

• تخریج القصيدة

• مناسبتها

• موهبا

• مواضع الانصاف فيها

الشاعر

اختلفت كتب الأدب في نسبة القصيدة ، فذكر الأصمعي ^(١) أنها للمفضل الشكري ، وهو المفضل بن معشر بن أسعم بن عدي ابن شيان بن سويد بن عذرة بن مئب بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، ونكرة بضم النون وسكون الكاف ، ويقع في كثير من الكتب البكري مصحفاً .

والمفضل شاعر جاهلي .

وذكر السيوطي ^(٢) أن اسمه عامر بن معشر بن أسعم .. وإنما سمي مفضلاً لهذه القصيدة .

وقال ابن سلام ^(٣) : « فضله قصيدته التي يقال لها المنصفة » .

وذكر الخالديان ^(٤) في الأشباه والنظائر أن القصيدة لعامر بن معشر بن أسعم ، ولعله عم المفضل ، وإليه تنسب القصيدة .

وذكرت مثل ذلك كتب أخرى .

وهكذا نجد أنفسنا أمام روايات ثلاث :

(١) الأصمعيات . تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ص ٢٣٠ - ٢٣٥ الطبعة الأولى .

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ٦٢ .

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٢١ .

(٤) الخالديان : الأشباه والنظائر : الجزء الأول : بحث المنصفات . تحقيق

الدكتور محمد يوسف . من ص ١٤٩ الطبعة الأولى .

أولها : أن القصيدة للمفضل النكري .

وثانيها : أن القصيدة له وأن اسمه عامر بن معشر بن أسحم وإنما لقب المفضل لهذه القصيدة المنصفة .

وثالثها : أن القصيدة لعم المفضل واسمه عامر بن معشر بن أسحم .
ولسنا نستطيع القطع بأحدى هذه الروايات ، وإن كنا نفضل الرواية الأولى ، والحق أن كل ما نعلم عن هذا الشاعر لا يتجاوز اسمه وقصيدته أو مختارات منها في كل ما أمكننا الرجوع إليه من مصادر الأدب العربي ؛ وما أكثر ما رجعنا إليه منها .

• • •

مناسبة القصيدة

قال المفضل منصفته هذه في حرب وقعت بين قبيلتين من قبائل العرب هما :

بنو لُكَيْزٍ ، ووردت في بعض الروايات « حَيَّيَّ » - وَلُكَيْزٍ
قبيلة الشاعر -

وبنو لُجَيْمٍ ، وهم لُجَيْمُ بْنُ صَعْبِ بْنِ عَلِي بْنِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ .
ويذكر الشاعر أن بين القبيلتين نسباً وصهرأً وحقوقاً ، ونشبت
المعركة في « بطنِ أُمَّالٍ » وفي صحراء « ذِي مُطَرَيْفٍ » ثم في « ذِي
الطرفاء » وابتدأت برشق النبال ، ثم بالرماح ، ثم بالسيوف ، وكان من
قواد لجيم وفرسانها : ثَعْلَبَةُ بْنُ سِيَارٍ ، وأسماء الشاعر « ثَعْلَبَةُ بْنُ سَيَرٍ »
وقد قتل في المعركة كما قتل الحارثُ الوَضَّاحُ ، وفر « ابْنُ قُرَّانٍ » جريماً
كما قتل أعداؤهم فتي منهم كريماً ، واستمر القتال بين الفريقين حتى

شبت السباع ، وصبر الفريقان ، وعندئذ تذكروا ما بينهم من وشائج
القربى والحقوق فكفوا عن الحرب .

ولم نعرف عن المعركة أكثر مما ورد في القصيدة .

• • •

تخريج القصيدة

جمعنا القصيدة من ثلاثة مصادر أساسية :

أولها الأصمعيات . وهي الأصمعية رقم ٦٩ ، وفيها ٣٩ بيتاً .
وثانيها : الأشباه والنظائر ، وقد عدما الخالديان المنصفة الأولى
وفيها ١٨ بيتاً ، وردت كلها في اختلاف يسير في رواية الأصمعيات .
وثالثها : حماسة البحري : وفيها ١٣ بيتاً وردت كلها كذلك في
المصدر الأول .

وقد أشرنا الى مراجع الأبيات عند ذكر كل بيت .
وهناك مصادر أخرى تكتفي بالبيت الواحد أو البيتين ، وأكثرها
يورد من الابيات مافيه شاهد نحوي أو لغوي .

• • •

جو القصيدة^(١)

صدر القصيدة حنين الى هؤلاء الجيرة قوم سُلَيْمى الذين رحلوا
عنه ، وخلوه لأحزانه وأشواقه ، فدمعه يجري فلا ينقطع ، وقلبه مشوق

(١) اعتمدنا على الأصمعيات من تحقيق الأستاذين : احمد محمد شاكر وعبد السلام
هارون في الحديث عن جو القصيدة .

الى ذكرها ، وقد ساق في ذلك وصفاً لها ولحديثها ، وهو حديث يأسر المستمع . ثم يطلب وداعها ، رغم ما في حديثها من طيب ، وينتقل الى المعركة في بطن أثال ، ويفدي بخالته بني لكيز ، وقد صبروا على الشدائد ، ودفعوا المنايا يوم جاءهم أعداؤهم كالعارض البرد ، وجاؤوهم كالسيل يضيق به الطريق ، وبدأت المعركة بالقسي والنبال ، حتى كأن النبل جرادٌ تسوقه وتقلبه ريح الشمال . وذكر كذلك بني عمرو بن عوف ، وأبناء « العمور » وأنصفهم ، ثم وصف الحرب بالرماح والحرب بالسيف ، واشتد القتال حتى هر الفريقان ، كما نهر أجمة القصب أشعلت فيها النار ، وكان من نتائج المعركة ، في كل مكان ، جماجم مفلوقة ، ومعاصم مبتورة ، وسادات تلفظ أنفاسها بين شقيق وزفير ، وقتلى تشبع منها السباع والضباع حتى تراها ممتلئة تشهق وتتجشأ من شبع وري ، بل إن الغربان شبعت فهي تتعق فرحة سعيدة ، ونساء الفريقين نائحات نادبات لايسوغ لهن ريق ، ولا ترقاً لهن دمة .

ويعدد المفضل بعد ذلك القتلى من الفريقين ، فقد هلك ثعلبة وهرب ابن قرآن ، ومات الحارث الوضاح ، ولما بلغت الحرب مداها وأيقن كل من الفريقين أن صاحبه صابر ، تذكروا ما بينهم من أنساب وحقوق ، وعطف الفريقين الحنين والقراة فكفوا عن القتال وتهادنوا وأطلقوا الأسرى .

• • •

الانصاف في القصيدة

يكاد الإنصاف يتجلى في أكثر أبيات القصيدة ، فقد جاءهم أعداؤهم

كالعارض البرد ينصب انصباباً ، ومضوا الى اعدائهم كأنهم السيل المتدفق
(البيت ١١) ومشوا إلى اعدائهم حاقدين يريدون اخذ ثاراتهم ، ومشى
إليهم اعداؤهم حاقدين (البيت ١٢) ثم يعف ما كان بينهم من رشق
يالنبال تغص به الحناجر ، واكثر الوصف يتجه الى (الأبيات ١٣ و ١٤
و ١٥ و ١٦) ثم يعطف الى ذكر الشجر الذي تصنع منه النبال ،
فالسد ضعيف والنبع وثيق (البيت ١٧) وينتقل الى وصف الجهم ثعلبة
ابن سير فقد أضر بمن ساقهم الى الحرب ، ولكنه حمى ابناء عمرو بن
عوف ، وفي العمور من هو شقيق على أهله وصحبه (الأبيات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠)
ويبلغ الانصاف مداه حين ينتقلون من الطعن بالرماح الى الضرب بالسيوف
وانه لضرب يزيل الهام عن مقله ، ويهرون ويصوتون ، كما نهر أجمة
القصب حين تحترق ، ويتساقطون صرعى ، ففي كل مكان منهم ومن
أعدائهم جمجمة مفلوكة أو بنان مبتور ، وسيد يحشرج ، وقد شبت
السباع من قتلى الفريقين ، وعكفت الضباع عليهم ، وفرحت الغربان بهم
وبكت نساء الفريقين جميعاً حتى صحت أصواتهن من النحيب والعيول
(الأبيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،
٣٠) .

وهنا ينتقل الشاعر الى ذكر القتلى من الفريقين ، ولاندرى
مادعاه الى عد قتيلين من أعدائه هما ثعلبة بن سير والحارث الواضح ،
وزاد على ذلك فذكر هرب ثالث هو ابن قران ، وقد أنقذته فرسه
مسرعة وهو جريح ، والى ذكر واحد من قبيلته كان فتى كريماً ،
ولكنه لم يذكر اسمه . ولعل الشاعر اكتفى بذكر بعض من قتل ،
بعد أن قال ان القتلى بين الفريقين كانوا كثيراً يملؤون الأرض ويشبعون
السباع ، (٣١ - ٣٦) .

وفي البيت السابع والثلاثين : يذكر أن الفريقين تذكر ما بينهما
من الإخاء والحقون فكفا عن القتال .

لا يلبث الشاعر أن يترجح موقفه من الإنصاف ، حين يذكر في البيتين
٣٨ - ٣٩ أنهم أبقوا على أعدائهم من لُجَيم ، ولو شاؤوا لتركوهم هباء
لاتسير لهم فرس ، ولا تخب بهم ناقة ؛ ولكنهم أنعموا عليهم بعد بؤس
وأطلقوا لهم أسراهم ، ففي كل بيت من بيوتهم طليق يتحدث بفضل
قبيلة الشاعر .

ولعل الشاعر يقصد فيما أحاط جو القصيدة من إنصاف الى أن
أعداءهم قد فعلوا بهم مثل هذا المعروف ليم عليه ما عرف به من إنصاف .
وسوف يرى القارئ أن القصيدة الثانية من المصنفات أكثر حرصاً
على الإنصاف من هذه القصيدة ، وأكثر دقة في مراعاة الجانبين .



القَصِيدَةُ

قال المفضل السكري :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا

فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتَهُمْ فَرِيقٌ ^(١)

فَدَمَعِي لَوْلُو سَلِسٌ عُرَاهُ

يَخْرُ عَلَى الْمَهَاوِي مَا يَلِيقُ ^(٢)

عَدَتْ مَارُمْتَ إِنْ شَحَطَتْ سُلَيْمِي

وَأَنْتَ لَذِكْرِهَا طَرِبٌ مَشُوقٌ ^(٣)

(١) (أ) و (ش)

المفردات : استقل القوم : ذهبوا وارتحلوا ، النية : الوجه الذي ينويه
المسافر . في اللسان : نية فريق متفرقة .

معنى البيت : لقد رحل أحبابنا وجيراننا ، ورحلنا ، وكل يمضي في طريق .
(٢) في (أ)

المفردات : العُرى : جمع عروة : وهي طوق القلادة ، المهاوي : جمع
مهوى ، وهو موضع الهوي . يليق : يحتبس ويثبت .

معنى البيت : ولما رحلوا تساقطت دموعي في كل مكان ، فهي لا
تجف ، كأنها لؤلؤ منشور .

(٣) في (أ)

المفردات : شحطت : بعدت .

معنى البيت : لقد تجاوزت سليمي ما كنت تطلبه منها وتبغيه ، وهجرتك
وأنت ما تزال تحن الى لقائها وتشتاق ديارها .

فَوَدَّعَهَا وَإِنْ كَانَتْ أَنَاةً

مُبْتَلَةً لَهَا خَلْقٌ أُنِيقُ^(٤)

تُلَهِّي الْمَرْءَ بِالْحُدُثَانِ لَهَوًا

وَتَحْدِجُهُ كَمَا حُدِجَ الْمُطِيقُ^(٥)

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ غَدَاةَ جُنْشَا

بِبَطْنِ أَثَالٍ ضَاحِيَةٍ نَسُوقُ^(٦)

(٤) فِي (أ) .

المفردات : الأناة : المباركة الحليمة المواتية . المبتلة : التامة الخلق وفي هامش الشنقيطية : يركب بعض لهما بعضاً .
معنى البيت : ومهما يبدئك من حسنها وجمالها وكريم خصالها فليست تملك غير وداعها .

(٥) فِي (أ)

المفردات : الحُدُثَانِ : بكسر الحاء وضمها : جمع الحديث . وفي هامش الشنقيطية : الحدثان : الحديث . تحدجه في اللسان « هو مثل ، أي تغلبه بدلها وحديثها . » وفي صلب الشنقيطية : « اي تحدج عليه الحدج ، وذلك من غلبتها عليه . » المطيق : المطوق .

ومعنى البيت : من استمع اليها استهوته بحديثها وغلبته على أمره فهو ينقاد اليها كأنها تضع في عنقه طوقاً لا ينجو منه .

(٦) فِي (أ)

المفردات : بطن أثال : موضع . ضاحية : أي علانية وجهاراً .

فِدَاءُ خَالَتِي لَبْنِي لَكِيزُ
 خصوصاً يَوْمَ كُسُ الْقَوْمِ رُوقٌ^(٧)
 هُمْ صَبَرُوا وَصَبْرُهُمْ تَلِيدٌ
 على الْعَزَاءِ إِذْ بَلَغَ الْمَضِيقُ^(٨)
 وَهُمْ دَفَعُوا الْمَنِيَّةَ فَاسْتَقَلَّتْ
 دِرَاكاً بَعْدَ مَا كَادَتْ تَحِيقُ^(٩)

— معنى البيت :

يترك الغزل في هذا البيت ، وينتقل فجأة الى الحرب ... فيقول :
 لورأيتنا يوم سرنا الى القتال في بطن أثال ، ونحن نسوق جيادنا جهاراً ،
 وجواب لو محذوف ، وتقديره : لرأيت شيئاً عظيماً .

(٧) في (أ) و (ش)

في (أ) : لبني حِيَيِّ

المفردات: في صلب الشنقيطية : الكَسَسُ : قصر الأسنان . والروَق
 طولها . وأراد أنه اذا قتل قلص عن أسنانه فتبين روقاً . والكس : جمع أكس
 وهو طويل الأسنان .

معنى البيت :

أفدى بخالتي أهلي من بني لكيز ، ولا سيما يوم المعركة حين قتل من قتل
 وكانت أسنانهم قصاراً فتقلصت شفاههم بعد الموت عن اسنانهم فبدت طوالاً .

(٨) و (٩) في (أ)

المفردات : التليد : أراد به القديم ، وأصله المال القديم ، —

تَلَاقَيْنَا بِسَبَبِ ذِي طَرِيفٍ
وَبَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ خَنِيقٌ^(١٠)
فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرِداً وَجِئْنَا
كَمَثَلِ السَّيْلِ غَصّاً بِهِ الطَّرِيقُ^(١١)

—العرَاء : الشدة . تحيق : تقع . دراكاً : متابعاً .

ومعنى البيتين :

يصف بني لكيز فيقول :

إنهم هم الذين صبروا في القتال ، وكان صبرهم قديماً في كل نازلة
وشدة تبلغ فيها النفوس الحناجر ، وهم ردوا عنا منايانا ، فَوَلَّتْ عَنَا ،
وقد كادت تحمل بنا .

(١٠) و (١١) في (أ) و (ش) و (ب)

في (أ) : « بغية ذي طريف » ، وفي النسخة المطبوعة « بغية » .

في (أ) : كسيل العرض . وفي (أ) و (ب) ضاق به الطريق .

المفردات : السَّبَب : القَفَرُ . طريف : مصغراً موضع بالبحرين كان

لهم فيه وقعة . والغية : الهبطة من الأرض . وفي المطبوعة بغية : وهي بكسر

الغين موضع باليامة . وعارضاً : أي كالعارض ، وهو السحاب يعترض في أفق

السماء . والبرْدُ : ذو القر والبرد . العرض : بكسر العين الوادي . وقد مرت

هذه الصورة في البيت الخامس من منصفة عبد الشارق بن عبد العزى :

وجاؤوا عارضاً بَرِداً وَجِئْنَا كمثل السيل نركب وازعينا

ومعنى البيتين :

مَشِينَا شَطْرَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

وَقُلْنَا : الْيَوْمَ مَا تُقْضَى الْحُقُوقُ^(١٢)

رَمَيْنَا فِي وُجُوهِهِمْ بِرِشْقٍ

تَغْصُ بِهِ الْحَنَاجِرُ وَالْحُلُوقُ^(١٣)

كَأَنَّ النَّبْلَ يَنْهَمُ جَرَادٌ

تُكْفِيهِ شَأْمِيَّةٌ خَرِيقُ^(١٤)

— تلاقينا في وادي ذي طريف ، وكل منا يحمل من الحقد على صاحبه مثلما يحمل صاحبه من الحقد عليه ، فكانوا كأنهم السحاب المنهمر ذو القر والبرد ، وكنا كأننا السيل المتدفق يضيق به الطريق .

(١٢) في (أ) ما : الأصح اعتبارها زائدة .

معنى البيت :

سرنا اليهم وساروا إلينا ، وكلانا يقول : اليوم نقضي حقوقنا وننال ثاراتنا .

(١٣) في (أ) و (ب) :

المفردات : الرِّشْقُ : بالفتح : الرمي بالسهم . والرِّشْقُ بالكسر ما يرشق من السهام .

ومعنى البيت :

رمىناهم بالسهام رمياً تغص به حناجرهم وحلوقهم .

(١٤) في (أ) و (ب) و (ش) :

قليلٌ ما ترى فيهم كميّاً
كبا ليدّيه إلا فيه فوق^(١٥)
يهزّهزُ صعدةً جرداءَ فيها
سنانُ الموتِ أو قرنٌ محيقٌ^(١٦)

— في (ش) : تصفقه يمانية .
المفردات : تكفّئه وتكفيه : تقلبه وسهل الهمزة . شامية : ريح تهب
من الشام . الخريق : الباردة الشديدة الهبوب .
معنى البيت :

كأن النبل الذي يتساقط بين صفوفهم جراد تقلبه ريح شامية عاتية .
(١٥) في (أ) ، و (ب) و (ش)
في أ : وبسلٌ أن ترى . وفي ب وبسلٌ ماترى .
المفردات في صلب الشنقيطية : البسل : من الأضداد يكون للخلال والحرام
وهو هنا الحرام : فوق : بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . كبا
ليديه : وقع على وجهه .

ومعنى البيت : قل أن تجد منهم فارساً قتيلاً إلا وفيه سهم قاتل .
(١٦) في (أ)

المفردات : الصعدة : القناة المستوية . قرن في صلب الشنقيطية : كانت
العرب تضع مكان الأسنة القرون . والمحيق : المدلوك المدد .
وترى الفارس قبل أن يموت يتحرك فيها فيهتز في جسده السنان الذي
يحمل اليه الموت ، أو القرن المحدد الذي أصابه مع السهم .

وَجَدْنَا السَّدْرَ خَوَّاراً ضَعِيفاً

وَكَانَ النَّبْعُ مَنبِتُهُ وَثِيقٌ^(١٧)

لَقِينَا الْجَهْمَ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ

أَضَرَ بَيْنَ يَجْمَعُ أَوْ يَسُوقُ^(١٨)

لَدَى الْأَعْلَامِ مِنْ تَلَعَاتِ طِفْلِ

وَمِنْهُمْ مَنْ أَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ^(١٩)

فَحَوَّطَ عَنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ

وَأَفْنَاءُ الْعُمُورِ بِهَا شَفِيقٌ^(٢٠)

(١٧) فِي (أ) .

المفردات : السدر والنبع : نباتان تتخذ منهما القسي والسهام .
معنى البيت : انا نضع سهامنا وأقواسنا من النبع ، وقد وجدناه
شديداً قويا ، وتركنا صنعها من السدر الضعيف الخوار .

١٨ - ١٩ - ٢٠ وردت في (أ)

المفردات : ثعلبة بن سير : يعني به ثعلبة بن سيار كما سيأتي في
شرح البيت ٣٤ . الأعلام : جمع علم وهو الجبل . أضجَّ : صاح وجلب .
والفروق : موضع أوماء في ديار بني سعد .
ومعنى الأبيات :

لقد أضر ثعلبة بن سيار بأصحابه الذين جمعهم وساقهم في تلعات -

فَأَلْقَيْنَا الرُّمَاحَ ، وَكَانَ ضَرْبُ
مَقِيلُ الْهَامِ كُلُّ مَا يَذُوقُ^(٢١)
وَجَاوَزْنَا الْمُنُونَ بِغَيْرِ نَكْسٍ
وَحَاظِي الْجِلْزِ ثَغْلَبُهُ دَمِيقُ^(٢٢)

— طفل ، وفي فروق ، واستطاع أن يرعى بني عمرو بن عوف بعض الرعاية ،
وأن يجد في أحياء العمور من يشفق عليه ، وهم أهل الشفقة والرحمة .
(٢١) في (أ) ، و (ب) .

في (أ) : وكان ضرباً .
المفردات : الهام : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس ، ومقيله : موضعه .
ولما احتدمت المعركة القينا برماحنا ، وسللنا سيوفنا نضرب بها الهام
فنفلقها ونذيقها طعم الموت .

(٢٢) في (أ)
المفردات : النكس : سهم لا خير فيه ، الحاضي : الغليظ الصلب
وفي صلب الشنقيطية : « الجلز أصل السنان ومعظمه . والثعلب ما دخل
في حبة السنان من الرمح ، وإنما يعني سهماً » ونراه عني بالنكس السهم
وبما بعده الرمح . الدميق : المدخل . يقال : دمقه فهو مدموق ودميق أي
أدخله . يتم المعنى فيقول : وتركنا القتل بالرمح والسهم إلى القتل بالسيف .

كَأَنَّ هَرِيرَنَا لَمَّا التَقَيْنَا

هَرِيرُ أَبَاءَةٍ فِيهَا حَرِيقُ^(٢٣)

بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ

بَنَانُ فَتَى وَجُمُجُمَةٌ فَلِيقُ^(٢٤)

وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ

بِذِي الطَّرَفَاءِ مَنَظِقُهُ شَهِيْقُ^(٢٥)

(٢٣) في (أ) ، و (ب) .

في (أ) : هزيرنا ، هزير .

المفردات : هزير : الصوت وأصله صوت دوران الرحى أو صوت حركة الريح ، والهزير : صوت الكلب دون نباحه من قلة صبره على البود . والاباءة : أجمة القصب ، ويروى : أشاءة وهي الواحدة من النحل . وفي قول كعب ابن مالك :

من سره ضربٌ يرعبُ بعضه بعضاً كمععة الأباء المهرق

ومعنى البيت :

كان أصواتنا يوم المعركة صوت أجمة تحترق .

٢٤ - ٢٥ : في (أ) و (ب) و (ش) .

في (أ) : بكل قرارة وبكل رَيْع .

المفردات : القرارة : المطمئن من الأرض . والريع بفتحها وكسرهما :

المكان المرتفع . ذو الطرفاء : موضع .

بِكُلِّ مَجَالَةٍ غَادَرَتْ خِرْقاً

من الفتيان مبسّمه رقيق^(٢٦)

فَأَشْبَعْنَا السَّبَاعَ وَأَشْبَعُوهُمَا

فَرَأَتْ كُلُّهَا تَتَّقُ يَفُوقَ^(٢٧)

— معنى البيت :

في كل مكان تجد بنائاً مقطوعة ، أو جمجمة مفلوقة لواحد منا أو واحد منهم ، وفي الطرفاء تجد عدداً من سادتنا وسادتهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة فحديثهم شقيق .

(٢٦) في (أ) .

المفردات : الحرق ، بالكسر : الكريم المتخرق في الكرم ، ومن الفتيان : الظريف في سماحة ونجدة . ومعنى البيت :

تركنا في كل ميدان من ميادين القتال فتياناً هم زين الفتيان ، وقد قلص الموت أفواههم ورقق شفاههم .

(٢٧) في (أ) و(ب) و(ش)

في (ب) : فَأَشْبَعْنَا السَّبَاعَ .
المفردات :

التَّيَّقُ : الممتلئ شعباً ورياً . فاق يفوق فواقاً : أخذه البهر وشخصت الريح من صدره .

ومعنى البيت :

لقد شبع السباع من قتلنا وقتلهم وراحت يغطيها الطعام فهي تفوق وتتجشأ .

تَرَكَنَا الْعُرْجَ عَمَّا كَفَتْ عَلَيْهِمْ

وَاللَّغْرِبَانِ مِنْ شِبَعٍ نَغِيقُ^(٢٨)

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوا

نِسَاءً مَا يَسُوغُ لَهُنَّ رِيقُ^(٢٩)

يُجَاوِزْنَ النَّيَّاحَ بِكُلِّ فَجْرٍ

فَقَدْ صَحَلَتْ مِنَ النَّوْحِ الْخُلُوقُ^(٣٠)

(٢٨) في (أ) :

المفردات : العرج : الضباع . النعيق والنغيق : صوت الغراب .
معنى البيت :

وتركنا الضباع تعبت بقتلانا وقتلهم ، والغربان تنعق لما نالها من شبع .

(٢٩) و (٣٠) في (أ) ، و (ش)

في (ش) : ما يحف لهن موق : والموق : مؤخر العين
المفردات : صحل : بُحَّ .

ومعنى البيت :

بكيت نساؤنا على ما أصابنا ، وبكيت نساؤهم على ما أصابهم فهن

لا يرقاً لهن دمع ، ولا يسوغ لهن ريق ، اذا سمعن النائحات رددن عليهن ، فقد
جفت خلوقهن وبجت أصواتهن من النواح والنحيب .

قَتَلْنَا الْحَارِثَ الْوَضَّاحَ مِنْهُمْ

كَأَنَّ سَوَادَ لِمَتِهِ الْعُذُوقُ (٣١)

تَعَاوَرَهُ رِمَاحُ بَنِي لُكَيْزٍ

فَخَرَّ كَأَنَّهُ سَيْفٌ دَلُوقٌ (٣٢)

(٣١) في (أ) و (ب) و (ش) .

في (أ)

قتلنا الحارث الوضاح منهم فخر كأن لمته العذوق

في (ش)

تركنا الأبيض الوضاح منهم كأن سواد قلته العذوق
المفردات : القلة : الرأس . واللمة الشعر المجاوز شحمة الأذنين ،
العذوق : جمع عذق وهو بكسر العين : العرجون بما فيه من الشاريخ .

(٣٢) في (أ) و (ش) .

في (أ) أصابته رماح بني حبي

الدلوق : السلس الخروج من غمده من غير سل ، وهو أجود
السيوف وأخلصها .

معنى البيتين :

قتلنا منهم سيداً هو الحارث الوضاح فخر وقد غطى شعره
الأسود رأسه كما تغطي الشاريخ العرجون ، وتناوشته رماحنا فسقط كما
يسقط السيف من غمده .

وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلَامًا
 كَرِيمًا لَمْ تَأْشَبْهُ الْعُرُوقُ^(٣٣)
 وَسَائِلَةٌ بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ
 وَقَدْ أَوْدَتِ بِثَعْلَبَةَ الْعُلُوقُ^(٣٤)
 وَأَفْلَتَنَا ابْنُ قُرَّانٍ جَرِيضًا
 تَمُرُّ بِهِ مُسَاعِفَةٌ حَرُوقُ^(٣٥)

(٣٣) في (أ) ، و (ب) و (ش)

في (ب) ما تخونه العروق : وفي (أ) : لم تؤشبه
 المفردات : لم تأشبه : لم تخالطه والتأشيب من الأشب وهو الخلط.
 ومعنى البيت : وقتلوا منا بالحارث الوضاح فتى كريماً صافي
 النسب محض النجار .

(٣٤) في (أ) و (ب) .

في (ب) : ثعلبة بن شبل ، وقد علقت بثعلبة .
 المفردات : في اللسان : يريد ثعلبة بن سيار فغيره للضرورة . ومثله في
 العقد . العلوق : بفتح العين المنية ، صفة غالبة .

معنى البيت :

ورب سائلة تسألنا : أين ثعلبة ؟ ولم تدر أن المنية قد أودت به .

(٣٥) في (أ) و (ش)

في (ش) : يمر به مساعفة مروق

تَشُقُّ الْأَرْضَ شَائِلَةً الذُّنَابِي

وَهَادِيهَا كَأَنَّ جِذْعَ سَحُوقٍ^(٣٦)

فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالصَّبْرِ مَنَابَا

تُذَكِّرَتِ الْأَوَاصِرُ وَالْحَقُوقُ^(٣٧)

— المفردات : الجريض : المغموم الشديد الهم . مجرض بريقة : يغص به .
حروق : في هامش الشنقيطية : يعني فرساً . وحروق في النسخة المطبوعة
خزوق : ويقال : ناقة خزوق : تحزق الأرض بناسمها أو إذا مشت انقلب منسمها
فخذ في الأرض . وأما حروق فقد جاء في اللسان : فرس حراق العدو ، إذا كان
يحترق في عدوه .

ومعنى البيت :

ونجا منا ابن قران مجهداً ، وما كاد ينجو ، وقد أسعفته في فراره فرسه .
(٣٦) في (أ)

المفردات : الهادي : العنق لتقدمه . والجذع : ساق التخلة والسحوق :
الطويل .

ومعنى البيت : يتابع وصف الفرس التي نجا عليها ابن قران .
فهي فرس كريمة تشق الأرض شقاً ، وترفع ذيلها ، طويلة العنق كأن
عنقها جذع شجرة سامقة .

(٣٧) في (أ) و (ش)

في (أ) : تذكرت العشائر والحزيق
المفردات : الحزيق : الجماعة من الناس . —

فَأَبْقَيْنَا وَلَوْ شِئْنَا تَرَكَنَا

لَجِئْنَا لَا تَقُودُ وَلَا تَسُوقُ^(٣٨)

وَأَنْعَمْنَا وَأَبْأَسْنَا عَلَيْهِمْ

لَنَا فِي كُلِّ آيَاتٍ طَلِيقٌ^(٣٩)



— ومعنى البيت : لما عرفوا صبرنا في القتال ، وذقنا صبرهم ، تذكرنا وتذكروا ما بيننا من أواصر القربى ووشائج المودة فكفوا عنا وكففنا عنهم .

(٣٨) (٣٩) ، ورد ٣٨ في (أ) ، و (ش) و ٣٩ في (أ) في (ش) لجئنا لا يقود ولا يسوق .

المفردات : لجيم : قبيلة . وهم لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . القود : نقيض السوق : يقود الدابة من امامها ، ويسوقها من خلفها واكثر ما يكون القود للخيل ، واكثر ما يكون السوق للابل .

معنى البيتين :

عندما تذكرنا قرابتنا أبقينا عليهم - ولو أردنا لما قامت لقبيلة لجيم قائمة ، ولم تستطع - قود الخيل ولا سوق الابل ، وهكذا أنعمنا بالبقيا عليهم وأبأسنا بقتلهم ، ففي كل بيت من بيوتهم أسير أطلقنا سراحه - وكان من حقه وهو المنصف أن يقول : وأبقوا علينا وانعموا وابأسوا ففي كل بيت من بيوتنا أسير أطلقوا سراحه .

الْمُنْصَرَفَاتُ الثَّانِيَةُ

عَبْدُ شَارِقِ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيِّ الْحَبَنِيُّ

• الشاعر

• تخریج القصيدة

• مناسبتها

• موها

• مواضع الانصاف فيها

الشاعر

وكما اختلف الرواة في نسبة المنصفة الأولى . وفي اسم صاحبها اختلفوا في نسبة القصيدة الثانية .

ففي حماسة ^(١) أبي تمام أنها لعبد الشارق بن عبد العزّي الجهنّي ، وفي حماسة ^(٢) البحتري أنها لسامة بن الحجاج الجهنّي ، وفي الأشباه ^(٣) والنظائر للخالدين أنها لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهنّي .

ومما سبق تبين أن الرواة الثلاثة اتفقوا على أنها لشاعر من جهينة ثم اختلفوا فرأى اثنان منهم أنها لعبد الشارق ثم اختلفا في الأب أهو عبد العزّي أم عبد العزيز ، وليس هذا الخلاف كبيراً ، فالعزّي والعزير مشتقان من العزة ، والعزّي صنم ، وهو تانيث الأعز ، وقد كان بعض الرواة يبدلون أسماء الجاهلية ورعاً وتقوى ولعلمهم قالوا عبد العزيز تورعاً من أن يقولوا عبد العزّي ، كما فعل بعضهم في امرئ القيس .

وانفرد البحتري في نسبة القصيدة لسامة بن الحجاج . ونحن لانملك تأريخاً ولا ترجمة مفصلة ولا غير مفصلة لصاحب المنصفة الثانية .

كل مانعرفه أن عبد الشارق كما يظهر من تسميته شاعر جاهلي ، قال في

(١) حماسة أبي تمام شرح المرزوقي تحقيق أحمد أمين وهارون ص ٢٣٢

(٢) حماسة البحتري تحقيق كمال مصطفى ص ٦١ - ٦٢

(٣) الأشباه والنظائر للخالدين تحقيق محمد يوسف ص ١٥٢ - ١٥٣ .

المبهج^(١) اسم صنم لهم . ويجوز أن يكون عبد الشارق من قولهم الشارق ، وهو قرن الشمس . كقولهم : لا أكلمك ماذر شارق أي ماطلع قرن الشمس ، فقولهم اذن عبد الشارق كقولهم عبد شمس . وكذلك عبد العزى نسبة الى صنم من أصنام الجاهلية .

ويقرر الشاعر في قصيدته أنه من بني جهينة ، فهو ينتسب إليها ويفاخر بها ويستثير حماسة أصحابه بها ، وأن له أخاه جوين قتل في المعركة ، وكان ذا حفاظ وشجاعة .

هذا كل ما استطعنا أن نعثر عليه في كتب الأدب ، وفي القصيدة من معلومات عن الشاعر ، فما أقلها .

• • •

مناسبة القصيدة

المصدر الوحيد لدينا في مناسبة القصيدة هو القصيدة نفسها . فقد دارت المعركة بين قبيلتين هما جهينة^١ قبيلة الشاعر وبهثة^٢ . لا ندري أين وقعت المعركة ولا سبب وقوعها ، وكل الذي نعلمه أن قبيلة الشاعر أرسلت « أبا عمرو » رائداً ، وأن القتال نشب بالنبال ، فارتمى الفريقان أولاً فلما لم يبق قوس ولا سهم ، مشى بعضهم الى بعض بالسيوف ، وأن نتيجة المعركة كانت ثمانية قتلى : أربعة من جهينة وفيهم أخو الشاعر

(١) شرح حماسة ابي تمام للمرزوقي تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون .
الطبعة الأولى .

جُؤَيْنٌ ، وأربعة من بُهْثَةٍ وفيهم فارس مشهور يدعى « قَيْنَا » هكذا ذكر المرزوقي ، والقين في الأصل هو العبد الذي يعمل في الحديد ، وعندما تكسرت الرماح وانحنت السيوف كفَّ بعضهم عن بعض ، وباتوا جميعاً يئنون من الجراح التي أصابتهم ، ولا يقدرّون على السرى .

• • •

تخريج القصيدة

أبيات القصيدة في حماسة البحتري ^(١) وحماسة أبي ^(٢) تمام واحدة : خمسة عشر بيتاً وفي الأشباه ^(٣) والنظائر ستة عشر بيتاً ، بزيادة بيت واحد هو :

فَمَنْ يَرَنَا يَقْلُ سَيْلُ أَتِيٍّ

نَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَيْنَا

والاختلاف في رواية الأبيات يسير . وقد أشرنا الى هذا الخلاف أثناء شرح الأبيات .

• • •

(١) حماسة البحتري تحقيق كمال مصطفى ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) حماسة أبي تمام شرح المرزوقي تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون ص ٤٢ :

(٣) الأشباه والنظائر للخالدين تحقيق محمد يوسف ص ١٥٢ - ١٥٣ .

جو القصيدة

افتتح الشاعر قصيدته ببيت واحد في الغزل لا ثاني له حيا فيه
صاحبه ردينة ، وذكر أنه يحبها رغم بخلها عليه وصدها عنه ، ثم انتقل
مقتضياً فطلب إليها أن ترى بطولته وبطولة قبيلته في الحرب ، حين غلت
مراحل الحقد في نفوسهم ، فأرسلوا فارساً منهم يطلع على أخبار أعدائهم ،
وأرسل أعداؤهم فارساً يتجسس عليهم ، وعاد الرسولان غانمين سالمين
يحملان الأخبار .

وأقبلت بهثة كأنها العارض البرد ، وأقبلت جهينة كأنها السيل
الأتي ، لا يستمعون لناصح ولا يروعون لوازع ، ونادى كل واحد أهله
يستحثهم على القتال والثبات في المعركة ، وقد سمعت جهينة صوتاً رابها
فخافت الكمين ولكنها مالبت أن عادت الى الصف . وبدأ الرمي
بالنبال حتى تقطعت القسي ونفدت السهام ، فمضى بعضهم الى بعض
بالرماح والسيوف ، كما تتلأأ المزنة للمزنة ، وكر بعضهم على بعض
كأنها أتيان يتدفقان ، وقتل من بهثة أربعة ، ومن جهينة أربعة ، منهم
اخوه جوين ، ولكن قتله لم يكن شيئاً له ، وإنما هو زين ، وكذلك
يكون قتل الفتیان .

وكثر الجرحى بين الفريقين ، وتكسرت رماح بهثة ، وانحنت
سيوف جهينة ، فكفوا عن القتال ، ولم يستطع الفريقان السرى في
الليل للعودة الى ديارهم ، فكلاهما تنفت صدور جرحاه أحاح الغيظ
والحقد وأنين الوجع والوجد .

• • •

مواضع الإنصاف في القصيدة

الحق أن هذه المنصفة الثانية التي قالها عبد الشارق بن عبد العزى من أكثر المنصفات إنصافاً ، وأشدّها اقراراً بحق الأعداء ، وصدقاً عن قبيلته وقبيلتهم ، فلا يكاد يذكر شيئاً من صفات أهله حتى يبادر فيذكر مثله من صفات عدوه . وإذا كنا قد وجدنا صاحب المنصفة الأولى وهو المفضل النكري يتجاهل بعض التجاهل ، وينكر في آخر الأبيات حق أعدائه ، ويذكر أن عدد القتلى منهم أكثر من عدد القتلى من قبيلته ، فشاعرنا عبد الشارق لا يقع في مثل هذا التجاهل ، بل يراعي الجانبين في دقة تكاد تكون حسابية . فكأنّ الفريقين طرفا معادلة رياضية . وهكذا نجد في الأدب هذا اللون الطريف من الرياضيات .

وإذا كنا قد ذكرنا أن بعض الرواة قد سمو هذه القصائد « المنصّفات » كما في النسخة المغربية من الأشباه والنظائر ، ورأوا أنها سميت كذلك لأن القصيدة جعلت نصفين بين القائل وعدوه : شطر بشطر ، وببيت بيت ، وموقف بموقف ، فلعل خير ما يدل على صحة هذه التسمية قصيدة عبد الشارق دون سواه . فلانكاد نجد بيتاً واحداً ليس فيه نصف وانتصاف .

فقد سلم في البيتين الثالث والرابع رائدا الفريقين وجاءا بأخبار العدو ، فلم يغدر بهما الفريقان كما جرت عادة القبائل العربية عند الغزو في عدم الغدر بالرواد ، وقد كانوا كالسيل وكان أعداؤهم كالعارض يسيل بالماء والبرد ، وقد شجع كلا الفريقين أصحابه وذكرهم بحق قبائلهم عليهم (البيتان ٥ - ٦) ، وربما كاد الشاعر يكون على أهله حين ذكر

أنهم سمعوا نبأه فخافوا الكمين ، فجاءوا ليتأملوا فلما أمنوا رجعوا ، ولم يذكر مثل هذا الخوف ثم مثل تلك الرجعة بعد الأمان عند أعدائه ، (البيت السابع) وذكر في الأبيات (٧ - ٩ - ١٠ - ١١) القتال بين الفريقين وأنه كان بالنبال ثم بالسيوف ، وأنها كانا مثل سحابتين تتلأأاً احدهما للأخرى بالبرق وتلتمع .

ويذكر عدد القتلى من الفريقين ، فلا يجعل واحداً أكثر من الآخر ، ففي كل قبيلة أربعة قتلى بينهم فتى سيد ، وفي بهثة فارس كريم يدعى قيناً ، وفي جهينة فارس كريم هو جوين ، (الأبيات ١٢ - ١٣) ولا ينسى في البيت الرابع عشر أن يذكر شطراً واحداً عن أخيه ، ولأخيه عليه حق ، فقد كان شجاعاً ذا حفاظ ومروءة ، ولكن الشاعر لا يلبث أن يستدرك موقفه فيأتي بحكمة عامة تشمل كل قتيل ، وتبين موقف العرب من موت الشباب في ساحة المعركة ، حين يعدون قتلهم شرفاً لهم وزيناً .

هنا ننتقل الى البيت الخامس عشر ، وهو بيت يرى فيه المرزوقي ان الشاعر جعل اعلى الصفتين لنفسه ولدوييه ، حين ذكر ان أعداءه عادوا ورماحهم مكسرات ، وأن أصحابه عادوا وسيوفهم منحنيات ، ففي السيوف بقية ، ولسنا نرى رأي المرزوقي ، فقد تكون الرماح المتكسرة عند أعدائه وليس فيها بقية ، أدل على شجاعتهم في المعركة من السيوف المنحنية عند قبيلة الشاعر ، وما يزال فيها رمق للقتال ، اذا كان ذلك كذلك كان الشاعر أكثر انصافاً ومدحاً لأعدائه منه لأصحابه ، وإن لم يكن ذلك كذلك فقد أراد الشاعر المساواة بين الفريقين حين ذكر صورتين متقابلتين صورة الرماح المتكسرة ، وقل أن تنحني الرماح ، وصورة السيوف المنحنية وقل ان تكسر السيوف .

ويعود الشاعر الى الإنصاف الكامل في البيت السادس عشر فقد
باتت بهثة في الصعيد تُصَوِّتُ وتزفر وتئن ، وباتت جهينة في الصعيد
تصوت وتزفر وتئن ، ولو خفت جرحى الفريقين لتركوا ساحة المعركة
وعادوا إلى ديارهم غير سالمين ولا غانمين .

تلك هي القصيدة المنصفة الثانية ، وإنها لأوسط المنصفات ، في
المعنى الأصيل لهذه الكلمة العربية .



القَصِيدَةُ

قال عبدُ الشَّارقِ بنُ عبدِ العُزَّى الجُهَنِي^(*)
ألا حَيْثُ عَنَّا يا رُدَيْنَا
نُحْيِيهَا ، وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا^(١)
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِشْنَا
عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدْ اجْتَوَيْنَا^(٢)

(*) في (ب) : سامة بن الحجاج الجهنى . في (ش) عبد الشارق بن عبد العزيز الجهنى .

(١) في (ب) : البيت الأول غير موجود . في (ش) : بخلت بدل كرمت .

الألفاظ : ردينا : ترخيم ردينة .
معنى البيت : الوداع ياردينة، إنا نحييك ونودعك وقد عز علينا فراقك .
(٢) في (ت) و (ش) احتويننا . وفي (ب) علمت .
الألفاظ : إذا روي احتويننا فهو من الاحتواء ، وذلك حيازة أموال الناس ، ونفضل اجتويننا بالجيم ، وهو افتعل من الجوى وهو الغضب والألم ، ورويت أيضاً اختويننا بالحاء المعجمة ، ويكون افتعل من الحوى وهو الفراغ .
الأضمت : الغضب والحق . وجواب لو محذوف .

لو رأيتنا ياردينة يوم سرنا الى المعركة وفي قلوبنا أحقاد وفي نفوسنا حزازات لرأيت أمراً عجباً .

فَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَيْثًا

فَقَالَ : أَلَا أَنْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنًا^(٣)

وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً

فَلَمْ تَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا^(٤)

فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجَنًّا

كَمِثِلِ السَّيْلِ نَزَكَبُ وَازِعَيْنَا^(٥)

(٣) الألفاظ : الربى والرَيْثَةُ : الطليعة ، والمرباة : المراقبة .

(٤) في (ت) : لَهُمْ

ومعنى البيت :

سرنا إليهم وأرسلنا منا رقيباً يطلع عليهم فعاد إلينا يبشرنا ، وأرسلوا إلينا رقيباً منهم ، يندس بين خيولنا ويعرف سرنا وعلتنا ويقف على عدتنا وعدتنا فعرفناه ، ولكننا لم نبال به ، وخليناه والانصراف إليهم ولم نعبأ ببطي أخبارنا عنهم .

(٥) المفردات : العارض : السحاب . الوازع : الناهي الضابط .

معنى البيت : تسارعوا مقبلين نحونا ، وكأنهم في كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها برد ، ونحن لكثرتنا وإتياننا على ما يعترض في طريقنا كالسيل الذي لا يبقى ولا يندر ، ونحن جميعاً نرد من ينهانا عن الحرب ولانتقاد لمن يريد ضبطنا من الجيشين معاً .

ووازعينا : هنا مثنى وازع : بفتح العين وسكون الياء ، ولا يجوز أن -

تَنَادَوْا : يَا بُهْثَةَ ، إِذْ رَأَوْنَا

فَقُلْنَا : أَحْسِنِي ضَرْباً جُهَيْنَا ^(٦)

سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ

فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ أَرْعَوَيْنَا ^(٧)

- يروي « وازعينا » بالجمع و كسر العين لما يحصل من العيب بالسناد مع ارتفاع الضرورة .

(٦) في (ت) : فنادوا ، في (ب) : فقالوا في (ب) إذ لقونا .

في ب : فقلنا أحسنوا قولاً جهينا . وقد رأينا الرواية التي أوردناها أحسن الروايات .

المفردات : بهثة وجهينة : القبيلتان التي تدور بينهما الحرب .

معنى البيت : لما شارقناهم استغاثوا ببني بهثة معترزين إليهم ، ومستمدين منهم فاستثرونا جهينة وقلنا أحسنوا الضرب والطعن . وإنما يستعملون الاعتزاز في مثل هذه الحالة تهويلاً للأمر وتكثيراً للعشيرة ؛ ليستشعر كل من الفريقين الرعب من صاحبه والتهيب له .

(٧) في (ش) : نبأة .

المفردات : ارعوى : عاد وثبت .

معنى البيت : يقول : قرع أسماعنا في أثناء التهيؤ والتطالع دعوة تأدت من مكان غائب عن عيوننا فدرنا دورة ثم رجعنا الى اماكننا . وهذا يجوز أن يكونوا خافوا الكمين ، فجاءوا يستطلعون ، فلما امنوا رجعوا .

فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا
 أَنْخَنَّا لِلْكَلاكلِ فَارْتَمِينَا ^(٨)
 فَلَمَّا لَمْ نَدَعِ قَوْسًا وَسَهْمًا
 مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا ^(٩)
 تَلَأُلُوْا مُزْنَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى
 إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا ^(١٠)

(٨) في (ب) فلما أن تلاقينا وثبنا . جنحنا للكلال كل فارتمينا
 المفردات : الكلال كل جمع لكلل . وهو الصدر .
 معنى البيت : لما وقف بعضنا امام بعض نزلنا نتطاعن ونترامى .
 هذه الموافقة التي أشرنا إليها يجوز ان تكون للتعبئة والتهيئة ، ويجوز
 أن تكون لتداعي الأبطال والمبارزة ، واعتراضهم بين الصفين للمطاعنة .
 (٩) و (١٠) في (ش) : سها ورُمحا .
 المفردات : المزنة : السحابة . الحجل والرديان : ضربان من السير .
 معنى البيتين : يقول :

لما مللنا الطراد والرماء بإفناء النبال وتعطيل القسي لانقطاع الأوتار ،
 مشى بعضنا الى بعض للكفاح والجلاد طلباً للاستفتاء ، كأنهم تنقلوا في درج القتال
 ومراتبه ، حتى بلغوا أعلاها وأصعبها وأولاها بدرك الثأر واحقها . ولهذا لما
 سأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عمرو بن معديكرب عن أنواع السلاح
 وانتهى الى ذكر السيف قال : عنده تشكل الأمهات . وقد تلاً السلاح من —

فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ : سَيْلٌ أَتَى
 فَكُرُّ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ عَلَيْنَا ^(١١)
 شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ
 ثَلَاثَةَ فَتَيَّةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا ^(١٢)
 وَشَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا
 بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُويُنَا ^(١٣)

— الجانبين جميعاً ، وإذا كان مشيهم إلينا حجلاً كان مشينا إليهم رديانا . وهما نوعان من السير . فيقول تلاًلأنا لوفور أسلحتنا وبريق دروعنا وبيضنا وإيماض أعيننا تلاًلؤ سحابة برقت لسحابة أخرى قابلتها .

(١١) لم يرد هذا البيت إلا في (ش) .

الألفاظ : السيل الأتي : الذي يأتي على كل شيء في طريقه .

معنى البيت : من يرنا عندما تقابلنا وكررنا عليهم وكرروا علينا نجعل له أنه أمام سيلين جاحين لا يقف في طريقهما شيء .

(١٢) في (ب) : ورميت قيناً . في (ش) : واسرت قينا .

(١٣) في (ب) : وشدوا مثلها أخرى علينا فجزوا مثلهم ورموا جويننا

معنى البيت :

حملنا علينا حملة منكرة فأصبنا منهم ثلاثة من الفتيان وقتلت قيناً وقين اسم رجل كان مشهوراً فيهم بالبأس والنجدة فلذلك عين عليه ، وحملوا حملة فأصلوا منا مثل ما أصابنا منهم ورموا جويننا اخي .

وَكَانَ أَخِي جُؤَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ
وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زَيْنًا^(١٤)

فَأَبُوا بِالرَّمَاكِ مُكْسَرَاتٍ
وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا^(١٥)

(١٤) - (١٥) المفردات : الحفاظ : الشجاعة والغضب للشرف .

(١٤) في (ب) : محطات .

معنى البيتين :

نبه على أن أخاء جويناً بحسن محافظته على الشرف ، وجميل
مدافعته دون العشيرة ثبت حتى قتل ، وأن قتلته كانت قتلة محمودة تزين
ولا تشين ، وقوله : فأبوا بالرماح مكسرات ، وأبنا بالسيوف منحنيات ،
جعل منه أعلى الصفتين لنفسه وذويه . هذا رأي المرزوقي ، وما
نظن الشاعر قصد الى عدم الإنصاف ، وإنما هما صورتان للرماح المكسرة
وهي لأعدائه ، وللسيوف المنحنية وهي لقومه ، وقد تكون الرماح
المكسرة أدل على الصدام والقتال من السيوف المنحنية ، وعند ذلك
تكون أعلى الصفتين لأعدائه .

وَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحُ
وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَلَمَى سَرِينَا^(١٦)



(١٦) في (ب) وباتوا ليلهم ولهم أحاح
ولو خفت لنا الجرحى سرينا
المفردات : الأحاح : العطش ، وقد قيل شدة الوجد من الغيظ
حتى يسمع له من الصدر صوت .
معنى البيت : بقوا ليلهم يئنون على الصعيد ، وهو وجه الأرض
ولو ساعدتنا الطائفة المجروحة منا وقدرت على السرى لسرينا ، لكن كلاً
منا اضطر إلى الإقامة والتلوم ريثما تثوب اليه القوى بعد لحوق الجهد
ومشاركة الردى .

الْمُنْصِفُ الثَّالِثُ

الْعَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ

• الشاعر

• تخریج القصيدة

• مناسبتها

• جوها

• مواضع الانصاف فيها

الشَّاعِر

لئن كان نصيبنا من أخبار شاعري المنصفتين الأولى والثانية ضئيلاً
جد ضئيل ، فإن نصيبنا من أخبار صاحب المنصفة الثالثة واف وافر .
ذلك أن كتب المغازي والسير والأدب والتاريخ حافلة بأخبار الشاعر
الثالث .

هو العباسُ بنُ مرداسِ بنِ أبي عامر بنِ حارثةَ بنِ عبد-
القيس بن رفاعة بنِ بهثةَ بنِ سليمٍ بنِ منصور بنِ عكرمةَ بنِ
خَضْعَةَ بنِ قيس بنِ عَيْلانَ بنِ مِضَرَ بنِ نِزَارٍ ، من بني سليمٍ .
وأمه الخنساءُ الشاعرة بنت عمرو بنِ الشريد . كان العباس فارساً
شاعراً شديد العارضة أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد الى النبي صلى الله
عليه وسلم ، في المدينة حين أراد المسير إلى مكة عام الفتح ، فواعدَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قُدَيْدًا ، وقال : القني أنت وقومك
بقُدَيْدٍ . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قُدَيْدًا ، وهو ذاهب
لقيه عباس في الف من بني سليم .

وأعطاه رسول الله مع المؤلفة قلوبهم ، فأعطى الأقرع بنَ حابسٍ
وعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ والعباس بنَ مرداس عطايا فضل فيها عُنْيَةٌ
والأقرع على العباس ، فجاءه العباس فأنشده :

فأصبح نهي ونهب العبيد بين عينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تَضَع اليوم لا يُرْفَع
فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال : اقطعوا
عني لسانه . وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليمسك فأعطي .
قال أبو عبيدة :

وكان العباسُ ومُراقَةُ وحَزَن وعُمرو بنو مرداس كلهم من الحُتساء
بنت عمرو بن الشريد ، وكلهم كان شاعراً ، وعباس أشعرهم وأشهرهم
وأفرسهم وأسودُّهم^(١) ومات في الإسلام .

والعباس هو القائل :

أشدُّ على الصكتية لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواهـا
وله :

تري الرجلَ النحيف فتزدرية وفي أثوابه أسدٌ مزيرٌ^(٢)
ويعجبك الطريرُ فتبتليه فيُخلف ظنك الرجلُ الطريرُ^(٣)
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرمٌ وخيرٌ^(٤)

• • •

(١) أسودم : من السيادة .
(٢) المزير : الحصيف الجلد . وقيل : له فضل .
(٣) الطرير : الضخم السمين . وتبتلى : تجرب وتختبر .
(٤) الخير : بكسر الخاء : الشرف والفضل .

مناسبة القصيدة

قال أبو عبيدة^(١) :

غزت بنو سُلَيم ، ورثيستم العباس بن مرداس ، مُراداً ،
فجمع لهم عمرو بن معد يكرب (الزُبَيْدي) ، فالتقوا بتثليث
من أرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل
من كبار مُراد ستة ، وقتل من بني سُلَيم رجلان ، وصبر الفريقان ، حتى
كره كل واحد منها صاحبه ، فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على
السين ، وهي إحدى المنصفات .

وروى أبو الفرج^(٢) أن عمرو بن معديكرب أجابه عن هذه
القصيدة بقصيدة أولها :

لِمَنْ طَلَّلَ بِالْحَيْفِ أَصْبَحَ دَارِسا تَبَدَّلَ آرَاماً وَعِيناً كَوَانِيساً
ومنها يعتذر بأن خيلهم لم تكن سماناً ، وأنه لولا ذلك لم ينالوا
منهم^(٣) :

أعباسُ لو كانتْ شِياراً جِادُنا بتثليث مئاصيتٍ بعدي الأحاميسا
لدُسناكمُ بالحيل من كلِّ جانبٍ كما داسَ طباخُ القدورِ الكراديسا^(٤)
والمعركة كما يبدو من القصيدة بدأت حين سار بنو مراد يكنسون

(١) الاصحيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ص ٢٣٦ - ٢٤٠

(٢) المصدر نفسه .

(٣) خزانة الأدب : البغدادي ج ٣ : الشاهد ٦٢٧ .

(٤) ناصي الرجل : أخذ بناصيته . والكردوس : كل ملتقى عظيم . دسناكم :

وطئناكم .

أمامهم الظباء فتفر بجفلة مذعورة يريدون بني صُحارٍ وآلَ زُبَيْدٍ ، وقد
ساروا إليهم تسعاً وعشرين ليلة يقطعون الصحراء ولم يجدوا منهم في الحرب
تهاوناً ، فكل حملة بحملة ، وكل جولة وراءها صريع ، وقد شهد صدق
العباس في الحرب معبداً ومُخارقاً وبِشراً ، وكان معه ابنا صُرُيمٍ
وعُروَةُ وزَيْدٌ ، واستمر القتال وحمت الدروع فرسان زبيد وانتهت
المعركة بعد قتل ستة من مراد ، وعادت سليم وقد تكسرت رماحها
وفرسانها كأنهم الأسد فوق متون الخيل .

• • •

تخريج القصيدة

جمعنا أبيات القصيدة من أربعة مصادر أساسية ، هي حماسة أبي
تمام^(١) وفيها أربعة أبيات هي الأبيات (١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦) وحماسة
البحثري^(٢) وفيها بيت واحد لم يرد في حماسة أبي تمام هو البيت (١١)
والأشباه والنظائر^(٣) وفيها ١٨ بيتاً ثم اعتذر الخالديان عن ذكر تنمة
القصيدة لأن الشاعر تجاهل في أبيات منها ، والمصدر الرابع هو
الأصمعيات^(٤) وقد وردت في الأصمعية رقم ٧٠ ، وفيها ٢٨ بيتاً ، وقد
زادت في مجموعتنا بيتاً واحداً ، وجدنا فيه اختلافاً عن رواية الأصمعيات
فجعلناه بيتين اثنين فيها تقارب وهما البيتان (٨ و ٩) .

• • •

(١) حماسة أبي تمام : شرح المرزوقي . تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون .

(٢) حماسة البحثري : نشر كمال مصطفى ص ٦٣ .

(٣) الأشباه والنظائر - للخالديين : تحقيق محمد يوسف ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) الأصمعيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ص ٢٣٦ - ٢٤٠ .

جو القصيدة

يفتح الشاعر قصيدته بالغزل ويذكر أطلال حبيته أسماء وقد أصبحت دارسة ، فماترى فيها إلا الروامس ، وقد عاش الشاعر عهداً طويلاً كان يرى دلالها أحسن دلال وأنسها أطيب أنس وحديثها أحلى حديث وينشق منها أريجاً كالنسك .

ولكن حديث اللهو والمتعة لا يلبث أن يمله ، فيطلب إليك أن تتروك حديث الحب الى حديث الحرب ، حين ساروا الى اعدائهم بجحفل جرار تفر أمامه الأطباء مذعورة وقد شدوا بملاءاتهم رؤوسهم وقطعوا النسابس والقفار في تسع وعشرين ليلة كاملة فوجدوا أعداءهم يأكلون ويشربون لا يشعرون بهم وقد لبسوا لهم لامة الحرب وعدتها ، ولكن هذا الحي رغم أنه صبح بغتة لم يجزع ولم يفشل فما كاد يرى أعداءه حتى كر عليهم ودافع عن حقيقته دفاع الكرام .

فإذا حملت سليم حملت مراد ، وإذا جالت الخيل عن صريع من هؤلاء كرت ثم أجلت عن صريع من أولئك .

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن نفسه فلا يبخسها حقها من الطعان والقتال ، فلقد كان أول ضارب ، وكان أول طاعن جهاراً ، ويشهد بذلك شجعان قومه ، ولم يقصر اخوانه في الحرب فلولاهم لكان من الهالكين ولكنهم حموه ، كما حمى قرة فرسان قومه .

ولقد حمىهم دروعهم من الموت ، ولو مات الجرحى منهم لأصبحت الضباع عرائس ، ولقد قتلوا منا ولكننا قتلنا منهم ستة فرسان ، ونحن بنو الحرب نشبها ونوقدها ونكون نحن واعدائنا لها خطباً .

وانتهت المعركة فعدنا وقد تكسرت رماحنا ، ولم يبق منها
إلا شظايا ، ونحن نمتطي خيولنا كأننا أسود .

• • •

الانصاف في القصيدة

لعل قصيدة العباس بن مرداس أقل المنصفات انصافاً . ولعل
الآيات الأربعة التي ذكرها أبو تمام في حماسه هي الآيات المنصفة حقاً :
فلم أر مثل الحي حياً مُصَبَّحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارساً
أَكْرَ وأحمى للحقيقة منهم واضرب منّا بالسيوف القوانسا
إذا ما حملنا حملةً نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح الدواعسا
إذا الخيل جالت عن صريع نكرتها عليهم فما يرجعن الا عوابسا
ان قبيلة مراد معنا رغم أنها صبحت بغتة كانت مثال الحي الذي
لم تفجأه الحرب والعباس لم ير أكر وأحمى منهم للحقيقة ، ولم ير
فرساناً مثل فرسان سليم أضرب بالسيوف .

فكل حملة تشنها سليم تتقيها مراد بصدور الخيل ورؤوس الرماح
وكل جولة تجولها الخيل فينجلي نقصها عن صريع من أولئك تقابلها جولة
أخرى ينجلي نقصها عن صريع من هؤلاء (الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦) .
وكذلك فعل البحثري فأورد الآيات المنصفة وحدها .

والآيات الواردة في الاشباه والنظائر فيها شيء من الانصاف
دون ما في آيات الحماسين ، فقد وصف العباس شجاعته وشجاعة بعض
أخوانه من الفرسان ، الآيات (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢)
ووصف شجاعة قرة الذي حمى قبيلته وطعن أعداءه طعناً شزراً ، فياله

من فارس ، ولم يلبث العباس أن خفت حماسته للإنصاف فذكر أن
الدروع هي التي حمت أعداءه ولولا ذلك لكان قتلهم أكثر عدداً
(٢٣ و ٢٤) ثم ذكر عدد القتلى فكانوا واحداً من سليم قتلوا به ستة
من زييد (٢٥ و ١٧ و ٢٨) .

وعندما وصل العباس إلى هذه الأبيات أدرك الخالديان أن الشاعر
قد تخلّى عن الإنصاف ، وأن سردهما للأبيات التي بعدها تخرج القصيدة
عن موضوعها الأصلي ، فكفا عن ذكر ما بقي منها وأبديا هذه الملاحظة
القيمة : « وتجاهل في أبيات فيها فلم نذكرها . » (١) فإذا تركنا
الأشباه والنظائر رأينا الأصمعي يسجل ما عرف من القصيدة لأنه لم يتقيد
في ذكرها بشرط الإنصاف ، وفيما بقي من الأبيات تجدد العباس يفتخر
بنفسه وبأهله ولا يجري ذكراً لأعدائه (٢٨ ، ٢٩) .

وهكذا نرى أن شهرة القصيدة على أنها منصفة يعتمد في الدرجة
الأولى على أبيات أربعة أو خمسة من تسعة وعشرين بيتاً ، ولقد كان
الجهل – بالمعنى العربي الأصيل – عدو الإنصاف .



(١) الأشباه والنظائر : الخالديان . نشر محمد يوسف ص ١٥٤ .

القَصِيدَةُ

قال العباسُ بنُ مرداسِ السُّلَميُّ^(*) :

لأسماءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ اليَوْمَ دارِسا

وأَقْفَرَ منها رَحْرَحانَ فَرَاكِسا^(١)

(*) وردت أبيات القصيدة مختلفة العدد في مصادرها : وقد ذكرنا أن أبا تمام أثبت منها أربعة أبيات هي : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ . وزاد فيها البحري البيت الحادي عشر ووردت في الأشباه والنظائر ثمانية عشر بيتاً ، ووردت القصيدة كاملة على ما نظن في الأصمعيات في ثمانية وعشرين بيتاً . وقد اعتمدنا نصها وترتيبها .
ورد البيت في (أ) و (ش) في ش : ربع .

١ - المفردات : الرسم : الطلل . رحرحان وراكس موضعان أقفر المكان - كما ورد في النسخة الشنقيطية للأصمعيات - : إذا وجدته قفراً . والضمير لأسماء أي ضمير منها . وفي القاموس المحيط : أقفرتُ البلدَ : وجدته قفراً . وفي خزانة الأدب : الشاهد ٦٢٧ : وأقفر إلا رحرحان فراكسا .
ومعنى البيت : لقد عفا ربع أسماء وأقفرت منها ديارها في رحرحان وراكس .

فَجَنَّبَنِي عَسِيبٍ لَا أَرَى غَيْرَ مَاثِلٍ
خَلَاءَ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا الرِّوَامِسَا^(٢)
لِيَالِي سَلَمَى لَا أَرَى مِثْلَ دَلْهَا
دَلَالًا وَأَنْسَا يُهَيِّطُ الْعُصَمَ آنِسَا^(٣)
وَأَحْسَنَ عَهْدًا لِلْمَلَمِّ بَيْتَهَا
وَلَا مَجْلِسًا فِيهِ لِمَنْ كَانَ جَالِسَا^(٤)
تَضَوَّعَ مِنْهَا الْمِسْكُ حَتَّى كَانَتْهَا
تَرَجَلُ بِالرِّيحَانِ رَطْبًا وَيَابِسَا^(٥)

٢ - ٣ - ٤ : وردت في (أ)

الألفاظ : جنباً عسيب : موضع . الروامس : راد الآثار المرموسة ،
أي المطموسة . العصم : جمع أعصم وعصماء وهو الوعل .
معنى الأبيات :

وأقفرت من أسماء دارها في جنبي عسيب فليست ترى فيها إلا
الآثار المطموسة ، أين مضت ليالي سلمى ؟ وكنت لا أرى دلالاً مثل
دلالها ، ولا أنساً مثل أنسها يجعل الوعل المتوحشة في رؤوس الجبال
مستأنسة اليفة ، وكنت لا أجد أحلى من بيتها ولا أطيب منه مجلساً .
وقد غير الشاعر اسم حبيته فجعلها أسماء أولاً ثم جعلها سلمى ،
والعرب يغيرون أسماء حبيباتهم في أشعارهم .

٥ - ورد في (أ) .

فَدَعَهَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَاهَا مَقَادُنَا

لِأَعْدَائِنَا نُزْجِي الظُّبَاءَ الْكُؤَا نِسَا^(٦)

— الألفاظ ترجل : الترجيل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه .

معنى البيت : تشم منها رائحة المسك دائماً كأنما تسرح شعرها بالريحان من رطب ومن يابس .

(٦) في (أ) الثقال ، وأثبتنا رواية (ش) الظباء .

الألفاظ : مقادنا : سوقنا ، نزجي : نسوق ، في هامش الشنقيطية يعني النساء في الحمل . وأصله من كنس الظبي جعله لدخول المرأة في هودجها .

لكن في الأغاني ج ١٣ الكوادر : وهي رواية جيدة يقال كدس الفرس اذا مشى كأنه مثقل . وكدست الخيل اذا اسرعت وركب بعضها بعضاً في سيرها - هذا ما ورد في الأصمعيات .

أما في الأشباه والنظائر فيأتي بمعنى آخر ، ويقول : نسوق بين ايدينا الظباء ، والعرب تتشاءم بها .

ومعنى البيت : دع عنك الغزل بأسماء ، وسلها هل سمعت بأخبارنا يوم سرنا إلى اعدائنا والظباء تغادر كناسها وتفر مذعورة اماننا ؟

يَجْمَعُ يُرِيدُ ابْنِي صَحَارِ كَلِيْهَا
وَأَلْ زَيْدِ مُخْطِئًا وَمَلَامِسَا ^(٧)
نَشْدُ بَتَعْطَافِ الْمَلَاءِ رُوْوسَنَا
عَلَى قُلُوصِ نَعْلُو بِهِنَّ الْأَمَالِسَا ^(٨)
عَلَى قُلُوصِ نَعْلُو بِهَا كُلَّ سَبَسَبِ
تَخَالُ بِهِ الْحَرْبَاءَ أَشْمَطَ جَالِسَا ^(٩)

(٧) ورد في (١)

(٨) ورد في (ش)

(٩) ورد في « أ » ، وبين البيتين الثامن والتاسع تشابه .

المفردات : القلص : جمع قلووص وهي الناقة . الأمالس : جمع إمليس
وإمليسة وهي الفلاة ليس بها نبات وتجمع على اماليس وامالس شاذ . والاشمط :
الاشيب قد خالط سواد شعره بياض .

ومعنى الايات الثلاثة :

سرنا نريد قتال ابني صحار وآل زبيد بجمع كثيف ، ونحن نشد على
روؤوسنا ثيابا عمائنا ، ونركب نوقاً تقطع بنا كل فلاة موحشة مقفرة ، لو رايت
فيها الحرباء لظننته لكبره ولونه شيخاً اشمط .

سَمَوْنَا لَهُمْ تِسْعاً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً
نَجُوبٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَفْرًا بَسَابِسًا^(١٠)
فَبِتْنَا نُعُودًا فِي الْحَدِيدِ وَأَصْبَحُوا
عَلَى الرُّكَبَاتِ يَحْرُدُونَ الْأَنَافِسَا^(١١)

(١٠) ورد في (أ) و (ش)

في الأصول : الأعراض .

في (ش) سبعاً وعشرين ليلة . وفي النسخة الثانية من الأصمعيات سبعاً وعشرين .

معنى البيت : سرنا في طلبهم تسعاً وعشرين ليلة نقطع البراري والقفار .

(١١) ورد في (أ) و (ب) و (ش) :

في (ب) بتناهم يحرذون الأنافسا . وحزاً : جمع .

في (ش) فبتنا يتقون الدثافسا . والدثافس : الشيء الخلق .

وفي النسخة الثانية من الأصمعيات : يجرذون الأيابسا . وجرذ العظم .

خلص منه اللحم ، والأيابس كل ما كان مثل عرقوب وساق . وفي هامش الشنقيطية للأصمعيات . يقطعون النوق . يقال حرد اللحم : إذا قطعه ، والأنافس : جمع الأنفس أي الأحب الأكرم من الإبل وغيرها .

ومعنى البيت : بتنا نلبس دروع الحديد ، وأصبحوا جاثين على ركبهم

وهم يقطعون لحوم الإبل .

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا
وَلَا مِثْلَنَا لَمَّا التَقَيْنَا فَوَارِسًا^(١٢)
أَكْرَ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ
وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَ^(١٣)
وَأَحْصَيْنَا مِنْهُمْ فَمَا يَنْلُغُونََنَا
فَوَارِسَ مِنَّا يَخْبِسُونَ الْمَحَابِسَ^(١٤)

(١٢) - (١٣) : ورد البيتان في (أ) و (ب) و (ت) و (ش) .
في ب : وأضرب منا بالسيوف القلانس .
المفردات : أكر : أكثر كراً . الحقيقة : ما يحق على المرء أن يحميه .
القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الرأس .
معنى البيتين :

أشار بالحي الى قوم معهودين يقول : لم أر مغاراً عليه كالذين صبغناهم ،
ولامغيراً مثلنا يوم لقيناهم ، فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه وأصحابهم ،
وتناول بالمدح كل فرقة منهم .

والمصراع الأول - من البيت الثاني - ينصرف الى أعدائه ، وهم بنو أسد
والمصراع الثاني الى عترته وأصحابه ، والمراد : لم أر أسن كراً وأبلغ حماية
للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا . وانتصب القوانس من فعل دل
عليه قوله وأضرب منا . ولا يجوز أن يكون انتصابه من أضرب .

معنى البيت :

إِذَا مَا حَمَلْنَا خَمَلَةً نَصَبُوا لَنَا
صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ^(١٥)
إِذَا الْحَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكْرُهَا
عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعُنَ إِلَّا عَوَابِسًا^(١٦)

— وما أكثر ما نحصن أنفسنا منهم فلا يرون منا فرصة ، وما أكثر ما يجسسون
أنفسهم في المراقب فلانصل إليهم .

(١٥) — (١٦) — في (ش) و (أ) إذا ما شددنا شدة . في (ب) :
إذا الحيل جالت في المصاع يكرها عليه فلا يقبلن إلا عوابسا
وماصع : قاتل

في ش : إذا الحيل أجلت عن قتيل ...
المفردات : المذاكي : جمع مذك وهو ما جاوز القروح بسنة .
وقد قرح الفرس إذا دخل في السادسة والذكاء ضد الفتاء . وفي المثل :
جري المذكيات غلاب . المدعس من الرماح : الغليظ الشديد الذي لا ينثني .
والدعس : الدفع في الأصل ثم يستعمل في الطعن وشدة الوطء .
معنى البيتين :

يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الحيل القرح
والرماح المعدة لذلك ، وإذا الحيل دارت عن مصروع منا كررنا عليهم لنصرع
منهم مثلما صرعوا منا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الحيل عن صريع منهم
لا يقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرها عليهم لمثله وإن كرهت الكر لشدة الناس فلم
ترجع إلا كوالح عوابس .

نُطَاعِنُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا
وَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ الْمَزِيدِ الْخَوَامِسَا^(١٧)
وَكُنْتُ أَمَامَ الْقَوْمِ أَوَّلَ ضَارِبٍ
وَطَاعَنْتُ إِذْ كَانَ الطَّعَانُ تَخَالُسَا^(١٨)
وَكَانَ شُهُودِي مَعْبَدٌ وَمُخَارِقُ
وَبَشَرٌ، وَمَا اسْتَشْهَدْتُ إِلَّا الْكَائِسَا^(١٩)

(١٧) ورد في (أ) :

المفردات : المزيد : الذي يعينك على ماتذود وترعى ، الخوامس :
الابل التي ترد خمسا ، وهي أن تشرب يوماً وترعى ثلاثة ثم ترد في اليوم الخامس .
معنى البيت : طاعنا دفاعاً عن أحسابنا برماحنا ، وضربناهم بسيوفنا ،
كما يضرب الراعي الإبل التي ترد خمسا .

(١٨) معنى البيت : كنت أول ضارب في مقدمة القوم ، وطاعنت
جهاراً حين كان الناس يتطاعنون اختلاسا .

(١٩) في (أ) و (ش)

في (ش) : الأكلس : والأكلس من صفات الذئب ، وفي نسخة ثانية من
(ش) وفي (أ) : الأكيس : جمع الأكيس ، والأكيس العقل . وهي الرواية .
ومعنى البيت : لقد شهد طعاني وضراي معبد ومخارق وبشر ، وهؤلاء
شهود عدول .

مَعِيَ ابْنَا صُرَيْمٍ دَارِعَانِ كِلَاهُمَا
وَعُرْوَةُ لَوْلَاهُمْ لَقِيتُ الدَّهَارِسَا (٢٠)
وَمَارَسَ زَيْدٌ ثُمَّ أَقْصَرَ مُهْرُهُ
وَحُقَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا أَنْ يُمَارِسَا (٢١)
وَقَرَّةٌ يَحْمِيهِمْ إِذَا مَا تَبَدَّدُوا
وَيَطْعَنُنَا شِزْرًا فَأَبْرَحْتَ فَارِسَا (٢٢)

(٢٠) في (أ) .

المفردات : الدهارس : (في هامش الشنقيطية) : الدواهي .
معنى البيت : وكان معي ابنا صريم ، وكلاهما دارع وكان معي عروة ،
يحمونني ولولاهم لكنت في الهالكين .

(٢١) في (أ) و (ش) .

في (ش) وفي نسخة من (أ) : ثم أقصِد ، ومعناها قتل وهلك . وفي
نسخة أخرى من (أ) أقصر : كف ونزع .

معنى البيت :

كان زيد شجاعاً مارس الحرب فأحسن مراسها فلما قتل مهرة أقصر ،
وحق لأمثاله من الشجعان ممارسة المعارك .

(٢٢) في (أ) و (ش) . في (أ) : ويطعنهم ، وهي خطأ .

المفردات : أبرحت : هجئت بأمر مفرط معجب .

معنى البيت :

وَلَوْ مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنَا لَا صَبَحَتْ

ضِبَاعٌ بِأَكْنَافِ الْأَرَاكِ عَرَائِيسًا^(٢٣)

وَلَكِنَّهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ فَلَا تَرَى

مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا فِي الْمَضَاعِفِ لَا بَسًا^(٢٤)

فَإِنْ يَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّا

أَبْنَا بِهِ قَتْلُ تَذَلُّ الْمَعَاطِسَا^(٢٥)

قَتَلْنَا بِهِ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ خَمْسَةً

وَقَاتَلَهُ زِدْنَا مَعَ اللَّيْلِ سَادِسًا^(٢٦)

— وكما كان منا زيد حامياً ومدافعاً ، كان منهم قرّة يحميهم ويدافع عنهم ويطعننا طعنًا دراكًا ، فياله من فارس معجب .

(٢٣) — (٢٤) في (أ) و (ش) .

في متن احدى نسخ (أ) ، يقال : إن الضبع اذا مات القليل فانتفخ ذكره تقعد عليه . وانظر كتاب الحيوان للجاحظ الجزء ٦ ص ٤٥٠ — ٤٥١ .
الفارسي : يعني الدروع . المضاعف : المنسوج حلقتين حلقتين .
ومعنى البيت :

لو مات جرحايم لكان قتلاهم كثيرين تفرح بهم الضباع ، ولكن الدروع حمهم من القتل ، فلست ترى واحداً منهم الا لابساً درعاً مضاعفة .

(٢٥) — (٢٦) : وردا في (أ) و (ش)

وَكُنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَشْبُهَا

وَنَضْرِبُ فِيهَا الْأَبْلَجَ الْمُتَقَاعِسَا^(٢٧)

المفردات : ألباءه به : قتله به . البواء : السواء والكفاء . المعاطس :
الأنوف .

ومعنى البيتين :

إن يقتلوا منا رجلاً كريماً فقد قتلنا به رجلاً كريماً
كانوا خمسة ثم زدناهم قاتله في الليل فأصبحوا ستة
ملاحظة : مانرى في ذلك إنصافاً ، ولعل العباس بن مرداس قد بدأ
يتخلى عن الانصاف في قصيدته . كما سوف يلاحظ الخالديان في (ش) .
(٢٧) ورد في (أ) و (ش) وهو آخر الأبيات الواردة في (ش) ، وعددها
سنة عشر بيتاً .

وقال الخالديان بعد هذا البيت :

وتجاهل في أبيات فيها لم نذكرها .

والحق أنه تجاهل ، وترك الانصاف في البيتين السابقين حين ذكر أنه
قتل بواحد من أهله ستة من أعدائه . وجاء بعد هذا البيت بيتان آخران في (أ) .
وبذلك لا نستطيع أن نعد هذه القصيدة منصفة كلها .

في نسخة (أ) الأبلج ، وفي نسخة ثانية من (أ) ، وفي (ش) الأبلج .
المفردات : الأبلج : المتكبر ، والأبلج : المشرق الوجه أو الذي وضع
ما بين حاجبيه . والمتقاعس : المتمنع الذي لا يطأطئ رأسه .

ومعنى البيت :

إذا أوقدت نار الحرب زدناها وقوداً ، وكان من وقودها كل فتى أبلج
الوجه ، أشم الأنف .

فَأُبْنَا وَأَبْقَى طَعْنُنَا مِنْ رِمَاحِنَا

مَطَارِدَ خَطِّيٍّ وَخُمْرًا مَدَاعِيسَا^(٢٨)

وَجُرْدًا كَأَنَّ الْأُسْدَ فَوْقَ مُتُونِهَا

مِنَ الْقَوْمِ مَرُؤُوسًا وَآخِرَ رَأِيسَا^(٢٩)



(٢٨) - (٢٩) وردا في (أ) .

المفردات : المطارد : ما يبقى من الرماح اذا تكسرت ، والمعروف أن المطرد الرمح القصير ، ولا تناقض بين القولين اذ يسوى ما تكسر من الرماح ليجعل رمحاً قصيراً . والخطي : الرماح المنسوبة الى خط البحرين . والمداعس : سبق تفسيرها في البيت ١٥ .

ومعنى البيتين :

عدنا من الحرب وقد أبتت المعارك من رماحنا بقايا متكسرة فيها ماهو قصير وفيها ماهو غليظ ، كما أبتت خيولاً كأن فرسانها فوق ظهورها أسود ، سيان من كان منهم رئيساً ومرؤوساً .

الْمِنْصِفُ الرَّابِعُ

لِفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيِّ

• الشاعر

• تخریج القصيدة

• مناسبتها

• موارها

• مواضع الانصاف فيها

الشَّاعِرُ (١)

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

كان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة ، ولذلك قال :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
وهو هاشمي الأبوين ، أمه بنت العباس بن عبد المطلب . وإنما أتاه السواد من قبل جدته ، وكانت حبشية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوج عتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله نبياً ، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أشهد من حضر أني قد كفرت بربك وطلقت ابنتك .

وأما جده الثاني أبو لهب ، واسمه عبد العزى ، وجدته « حمالة الخطب » ففي « سورة اللهب » من القرآن الكريم ما يغني عن ذكرهما ، وطالما أولع به الشعراء وبها .
قال ابن النطاح (٢) :

(١) وترجمته في الأغاني . الجزء السادس عشر من ص ١٧٣ - ١٩٣ . المؤتلف ص ٣٥ - المرزباني ٣٠٩ ، الحماسة ص ٢٢٤ .
(٢) الأغاني الجزء ١٦ ، ص ١٧٣ .

« وحدثت أن الحزين الدّيلي مر بالفضل يوم جمعة ، وعنده قومه ينشدهم شعراً فقال له الحزين : أتشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة فقال الفضل : ويلك يا حزين ! أتعرض لي كأنك لاتعرفني ؟ قال الحزين : بلى والله ، إني لأعرفك ويعرفك معي كل من قرأ سورة (تبت يدا أبي لهب) . »

وقد لقي الفضل بن العباس غير الحزين من الشعراء ، لقي الفرزدق فلم يتعرض له ، ولقي عمر بن أبي ربيعة وكانت بينها قصة طويلة ومفاخرة . واتصل الفضل بخلفاء بني أمية ، وأولهم عبد الملك بن مروان فمنعه مرة ووصله مرة فأمر له بعشرة آلاف درهم ، واتصل بالوليد بن عبد الملك فأمر له بمثلها وانقطع إليه فلما مات الوليد ولي سليمان بن عبد الملك فأتاه الفضل فسأله فلم يعطه شيئاً ، وجفاه سليمان وحرمه . وكان الفضل بخيلاً وله طرائف مع حماله ، فرض له الوليد خمسة دنانير يعلفه بها ، فأخذها ولم يكن يطعمه ، فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار وعلقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي فأضحك منه الناس .

وكان يستعير لحماره سرجاً اذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجاً ، فلما طال عليه ذلك اشترى سرجاً بخمسة دراهم وذكر ذلك في شعره . وأخبار بخله في الأغاني كثيرة .

وانتقد المرزباني^(١) الفضل بن الربيع لوقوع سناد في شعره .

(١) المرزباني : الموشح : المطبعة السلفية ١٣٤٣ ، ص ٢٢ .

تلك حياة الفضل وبعض أخباره ملخصة ثم نحن لاندري سنة
ولادته ولا سنة وفاته .

♦ ♦ ♦

مناسبة القصيدة

لم يذكر المؤرخون حادثة معينة دعت الفضل بن العباس إلى
نظم قصيدته المنصفة هذه . ولكننا نظن أنها لا تعدو أن تكون مظهراً
من مظاهر النزاع القاسي الطويل الذي شغل الحياة العربية والإسلامية
بين بني هاشم وبني أمية .

ولعل الفضل نظم منصفته في أحد موقفين :
أولها حين حرمه مرة عبد الملك بن مروان أعطيته ، قال
صاحب الأغاني :

« خرج علي بن عبد الله بن العباس بالفضل الهبي إلى عبد الملك
ابن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ومعه بغلة
تُجَنَّبُ فحدا حادي عبد الملك به فقال :

يا أيها البكرُ الذي أراكا عليك سهل الأرض في ممشاكا
ويلك هل تعلم من علاكا إن ابن مروان على ذراكا
بخلقة الله الذي امتطاكَا لم يعمل بكراً مثلاً من علاكا
فعارضه الفضلُ اللّهي ، فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس ،
فقال :

يا أيها السائلُ عن عليٍّ سألت عن بدرٍ لنا بدري
أغلب في العلياءِ غاليٍّ وليّن الشيمة هاشميٍّ
جاء علي بكرٍ له مهريٍّ .

فنظر عبد الملك إلى علي فقال : أهذا مجنون آل أبي لهب . ؟
قال : نعم . فلما أعطى قريشاً مر به اسمه فحرمه . فلعل الفضل نظم
منصفته بعد حرمانه .

والموقف الثاني كان مع سليمان بن عبد الملك . حج سليمان بن عبد
الملك في خلافة الوليد فجاء إلى زمزم فجلس عندها . ودخل الفضل اللهي
يستقي ، فجعل يرتجز ويقول :

يا أيها السائلُ عن عليٍّ	سألتَ عن بدرٍ لنا بدريٍّ
مقدمٍ في الخيرِ أبطحيٍّ	وليينَ الشيمةِ هاشميٍّ
زمزماً بنورِ كنتٍ من ركيٍّ	بوركتَ للساقِ وللمسقيٍّ

فغضب سليمان ، وهَمَّ بالفضل . فكفه عنه علي بن عبد الله . فلما
ولي الخلافة وحج لقيه الفضل فلم يعطه شيئاً .

هذان موقفان مباشران ربما دعا أحدهما أو كلاهما الفضل بن
العباس إلى نظم قصيدته ، ولكن الداعي الأساسي قائم في تلك الأسباب
الأصيلة البعيدة في التاريخ ، وفي مقدمتها ما ذكرناه من نزاع طويل بين
الهاشميين والأمويين ، كان من أبشع صورته قتل الحسين بن علي ، وربما
كان من أدق ما قيل في تصوير هذا النزاع هذان البيتان :

عبد شمس قد أوقدت لبنيها	شم ناراً يشيبُ منها الوليدُ
فابنُ حربٍ للمصطفى وابنُ هُندٍ	لعليٍّ ، وللعسينِ يزيدُ

ومع ذلك تبقى هذه القصيدة المنصفة من أبرز مظاهر هذا النزاع
الذي أراد أحياناً أن يقف عند حد البغضاء في القلوب ، ولا يجاوزه
إلى يدٍ ولا إلى سنان .

• • •

جو القصيدة

قال الفضل بن العباس هذه الأبيات يخاطب بها بني أمية ، وهو لا يريد أن يصل بالعداوة الى ماوصلت إليه فعلاً من دماء ، بل يريد أن يقف عند حد اللوم والتذكير بالقربى ، وهي في الواقع تمثل نفسية هاشمي مغلوب على أمره رأى أن بني أمية قد استولوا على الحكم واستبدوا بالسلطان ، وأن مقام به الهاشميون من ثورات لانتزاع السلطة قد أخفق وكلفهم ضحايا غالية فهو الآن يخاطب بني أمية في هدوء ، ويطلب إليهم أن يرفقوا ببني عمهم ، وألا ينبشوا الأحقاد التي دفنوها ، وهي أحقاد لا تنسى :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
ويطلب الى ابناء عمه من بني أمية أن يكرمهم ، كما يكرمهم
بنو هاشم وأن يكفوا الأذى عنهم ، وأن يسيروا سيراً قصداً فلا ينقصوهم
ولا يبحثوا عن زلاتهم ؛ وهو يعترف في صراحة وجرأة أنهم لا يحبون بني
أمية ، ولا يلومون بني أمية ألا يحبوا بني هاشم . ويجعل من بغض كل
فريق لأخيه نعمة من الله تعالى عليهم ، لأن التباغض يباعد بينهم ويفرقهم ،
وفي تفرقهم صلاح لهم وفي قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم .

. . .

تخريج القصيدة

تقع القصيدة في خمسة أبيات ، وقد وردت في حماسة أبي تمام^(١).

(١) الحماسة ٥٣ في مختصر التبريزي للخفاجي و٥٦ في التبريزي تحقيق عبد الحميد
و ٥٥ في المرزوفي تحقيق أمين وهارون .

ولم أعر على غير هذه الأبيات الخمسة من القصيدة . ولم ترد في الأغاني برغم الترجمة الطويلة التي عقدها أبو الفرج للشاعر .
وقد ورد في الخزانة بيت واحد منها ، وذكر صاحب الخزانة أن الطبرسي قد شرح أبيات العباس وعدها من باب المنصفات (١) . كما ورد البيت الثاني في حاشية الأصمعيات نقلاً عن الخزانة أيضاً (٢) .

• • •

الانصاف في القصيدة

تمثل هذه القصيدة نموذجاً آخر من نماذج الإنصاف ، فقد مرت بنا ثلاث قصائد تناول فيها الإنصاف ما يجري في المعارك ، وما يصطلي الشعراء من حر اللقاء ، أما في هذه القصيدة فيتناول الإنصاف ما وصفه من أحوالهم من إحاض الإخاء ، كما يقول صاحب الخزانة (٣) ، أو على الصحيح من التساوي في البغضاء .

والشاعر في هذه القصيدة لا يكذب أبناء عمه ، ولا يريد أن يكذبوه ، فهو لا يحبهم ، وهم لا يحبونه ، وكلاهما يعد البغض نعمة من الله عليه ، ولكنه ، رغم ذلك ؛ يرغب في بقاء الأحقاد دفينه ، بقيا على الأرحام ، وتجنباً لسفك الدماء فليس يستطيع المرء أن يستمر في كف أذاه عن أخيه ، وهو يعلم أن أخاه لا يكف عنه أذاه ، وإذا كنت

(١) الخزانة : (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) حاشية الأصمعيات تحقيق شاكر وهارون ص ٢٣٠ .

(٣) الخزانة : (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

لاستطيع أن تكون محباً فلا أقل من ألا تكون عدواً مجاهراً بالعداوة
دافعاً بها الى أقصى حدودها .

ربما كان هذا الموقف أقرب الى التعبير عن نفسية العاجز عن رد
الظلم بالظلم ولكنه يبقى مع ذلك موقفاً فيه انصاف له ولبني عمه ،
انصاف لا يدعو الى الحب والخير ، ولكنه لا يرغب في الأذى والشر .



القَصِيدَةُ

قال الفضل بن العباس اللّهي يخاطب بني أمية (*):

مهلاً بني عمنّا مهلاً مواليننا

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً^(١)

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم

وأن نردّ الأذى عنكم وتؤذونا^(٢)

مهلاً بني عمنّا عن نحت أثلتنا

سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا^(٣)

(*) شرح الأبيات والألفاظ من التبريزي والمرزوقي .

(١) كرر مهلاً مرتين للتوكيد . والمعنى : يا بني عمنّا رفقا بنا ، ولا تظهروا ما كان مكتوماً بيننا .

كأنه يريد التهم بهم ، أو كأنه رآهم قد ابتدأوا في أمر سيؤدي الى تفاقم الشقاق بينهم ، فطلب المهل والأناة .

(٢) أن تهينونا : أي في أن تهينونا ، فعدى الفعل بنفسه ، يقول : لا تطمعوا أنكم إذا أهتمونا قابلناكم بالإكرام وإذا آذيتونا قابلناكم بالكف عن الأذى .

(٣) الأثلة : الشجرة العظيمة وتستعار للعرض . ويقولون : نحت -

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نُحِبُّكُمْ
وَلَا نَلُومُكُمْ أَنْ لَا تُحِبُّوْنَا^(٤)
كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضٍ صَاحِبِهِ
بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَنْقُلِيكُمْ وَتَقْلُونَا^(٥)



— أثلته إذا ذمه وتقصه يقول كفوا عن ذمنا وتقصنا وسيروا معنا كما كنتم
أول الأمر .

(٤) لم ينكر الشاعر أنه لا يحب بني عمه ، ولم ينكر عليهم بالتالي ألا
يحبه .

(٥) القلى : البغض . وإنما جعل بغض كل طائفة منهم للأخرى نعمة من
الله تعالى عليهم ، لأنهم مع التباغض يفرقون ، وفي تفرقهم صلاح لهم ، وفي
قرب بعضهم من بعض مضره عليهم .

أَلَمْ نَصِفْ لَكُمُ النَّاسَ سَبْعًا

أَبُو عَرُوبَ بْنَ الْمَدَنِيِّ

• الشاعر

• تخریج القصيدة

• مناسبتها

• جواهرها

• مواضع الانصاف فيها

الشاعر

هذه قصيدة نعرفها ورويت من طرق شتى ، ولانعرف صاحبها فهي في الأغاني يرويها النضر بن شميل للمأمون على أن قائلها أبو عروبة المدني ^(١) .

وجاء في هامش الأغاني أنها وردت في (ف) ، ومعجم الأدباء لياقوت في ترجمة النضر بن شميل ، وفي (ب) : ابن أبي عروبة وفي هامشها المزني ^(٢) .

وفي طبقات النحويين للزبيدي ص ٥٧ ، عروبة المدني . ونسبت هذه الأبيات في الحماسة الى الهذيل بن مشجعة البولاني ^(٣) .

وفي درة الغواص للحريري ، وفي شرح الدرة للخفاجي أنه ابن عروبة المدني ^(٤) .

وفي لسان العرب مادة « جلف » يرد بيت منها على أنه للعُجَيْر ^(٥) . ونسبها ابن الجراح لعمر بن النبيت الطائي البحتري ^(٦) .

(١) الأغاني الجزء ١٦ طبعة دار الكتب ص ٢١٣ - ٢١٤

(٢) هامش الأغاني الجزء ١٦ طبعة دار الكتب ص ٢١٤

(٣) الحماسة : شرح التبريزي ، شرح المرزوقي : الحماسة من باب الأضياف والمديح.

(٤) درة الغواص للحريري وشرحها للخفاجي ص ٩٣ و ١٥١ .

(٥) لسان العرب (جلف) .

(٦) سمط اللآلئ : تحقيق الميمنى ٨٦ ، ٨٤ .

ونسبها أبو عبادة البحتري في حماسه الى سماك بن خالد الطائي^(١).
وهكذا نجد أنفسنا أمام قصيدة واحدة وخمسة شعراء أحدهم :

أبو عروبة المدني ، وهو مختلف في اسمه فجاء :

١ - ابن أبي عروبة المدني وابن عروبة المدني .

٢ - الهذيل بن مشجعة البولاني .

٣ - العُجَيْر السلولي .

٤ - عمرو بن النبيت الطائي .

٥ - سماك بن خالد الطائي .

في أحد أبيات القصيدة ترد هذه الكلمة : الجلائف ، وهي جمع خليفة ، ومعنى ذلك أن الشاعر كان في الاسلام ، ثم لانلبث أن نجد أن الكلمة هي الجلائف ، وهي جمع جليفة ؛ وهي السنة الشديدة التي تجلف المال أي تقشره كما يقشر الجلد ، وعندئذ - كما يلاحظ في شرح التبريزي - لا يكون في البيت ما يدل على أنه قيل في الإسلام^(٢) .

وهكذا نجد أننا أمام منصفة من النوع الممتاز لم ينصف التاريخ كله ولا رجاله صاحبها ، فلا أقل من أن نسجل أسماء الخمسة ، ثم ننتظر من يدلنا على حقيقة خبره .

وقد اخترنا من أسمائه في العنوان ما ذكره الأغاني أبا عروبة المدني . ولم نعثر فيما اطلعنا عليه من المصادر على ترجمة لأبي عروبة ، ولا يكاد يرد اسمه إلا غابراً^(٣) .

• • •

(١) حماسه البحتري : مطبعة كال مصطفى ص ٣٩٠ .

(٢) شرح التبريزي لحماسة أبي تمام الجزء الرابع ص ٢١٣ .

(٣) هنالك أبو عروبة بفتح العين واسمه مهران اليشكري وابنه سعيد بن أبي

عروبة ، من رجال الحديث مختصر تذهيب الكمال ص ١٢٠ .

تخريج القصيدة

روى أبو تمام في حماسه ستة أبيات من القصيدة ، وذكر أنها
للهديل بن مشجعة البولاني^(١) ومنها البيت الثالث في القصيدة وهو غير
وارد في غيرها من المصادر .

ووردت في الأغاني سبعة أبيات بزيادة البيتين الرابع والسابع^(٢)
حسب ترتيبنا وكذلك في درة الغواص للحريري وشرحها للخفاجي في سبعة
أبيات ، وأغلب الظن أنه نقلها عن الأغاني^(٣) .

ووردت في حماسة البحتري بزيادة البيت الخامس حسب ترتيبنا
فالقصيدتان تقع اذن في تسعة أبيات اذا أضفنا الى الأبيات الستة في حماسة
أبي تمام البيتين الزائدين في الأغاني والدرة والبيت الوارد في حماسة البحتري
في اختلافات يسيرة في الرواية سنشير إليها في مواضعها ، ولم نجد فيما
عرفناه من المصادر زيادة عليها .

وقد ورد البيت الخامس من هذه القصيدة في لسان العرب مادة
« جلف » على هذا النحو :

وإذا تعوقت الجلائف ماله : قرئت صحيحتنا إلى جربائه

(١) الحماسة . شرح التبريزي ، شرح المرزوقي الحماسية رقم ٦٦ من باب الأضياف
والمدح .

(٢) الأغاني : طبعة دار الكتب الجزء ١٦ ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٣) درة الغواص للحريري ص ٩٣ . وشرحها للخفاجي ص ١٥١ .

ونسب صاحب اللسان البيت لشاعر آخر هو العجير^(١) .
وفي المؤلف والمختلف أنه العجير السلوي مولى لبني هلال ، وفي
هامش الكتاب عند ذكر اسم العجير هذه الكلمة : « استشهد بشعره في
اللسان كثيراً^(٢) » .

والعجير شاعر من المحسنين ويكنى أبا الفرزدق^(٣) . وهو غير
الفرزدق الشاعر المعروف . فهذا اسم شاعر سادس نضمه الى الشعراء السابقين .

• • •

مناسبة القصيدة

وإذا كنا لانعرف شيئاً عن الشاعر فإننا اكثر معرفة بالمناسبة
التي قال فيها منصفته ، ذلك أن ابن عمه - كما تذكر القصيدة - كان غائباً
في إحدى الروايتين ، فهو لا يضيع غربته وفي الرواية الثانية أنه كان عائباً
عليه ، فذكر علاقته به ، وموقفه منه ، وأنه يزاحم أمامه ووراءه
ويفيده نصره وهو في ذلك يضرب المثل الأعلى في واجبات القرابة ،
وصلة الرحم وصفاء الإخاء .

ونقلت إلينا هذه القصيدة حادثة من أطراف الحوادث نرويها
مختصرة عن الأغاني ، قال أبو الفرج^(٤) :

(١) لسان العرب مادة ، جلف .

(٢) المؤلف والمختلف : تعليق في كرنكو ص ١٦٦ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٣٢ .

(٤) الأغاني : الجزء السادس عشر طبعة دار الكتب ص ٢١٣ - ٢١٤ .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني النضر بن شميل قال :
« دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرور ، وعلي أطمار مترعيلة ^(١)
فقال لي : يا نضر ، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت :
إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق ، فقال : لا ، ولكنك
رجل متقشف .

[ويصلح النضر للمأمون كلمة سداد ، ويقول : إنها سداد بالكسر
بمعنى البلغة وكل ماسدت به شيئاً فهو سداد ثم يستنشد المأمون أخلب
بيت للعرب فينشده ، ونعود الى خبر الأغاني] .
فقال المأمون : لله درك كأنما شق لي عن قلبي ! فأنشدني أنصف بيت
للعرب . قال : قلت : قول أبي عروبة المدني «
وذكر أبو الفرج الأبيات ، ثم ذكر أن المأمون أمر للنضر
بخمسين ألفاً وزاده وزيره ثلاثين ألفاً فكان ما أخذه على كلمة واحدة
ثمانين ألف درهم . ووردت هذه الحادثة في درة الغواص وشرحها وذكر
فيها أرقاماً أكثر سخاء ^(٢) !

• • •

(١) ممزقة .

(٢) درة الغواص للحريري وشرحها للخفاجي ص ٩٣ و ١٥١ .

جو القصيدة

القصيدة كلها تذكر مواقف ابن عم كريم من ابن عم غائب أو عاتب . والشاعر يضع فيها منهاجاً للعلاقة بين الأهل والأقارب .
فهو إن غاب ابن عمه - أو إن عتب في بعض الروايات ، ونحن نفضل الرواية الأولى حتى تكون القصيدة عامة لاختصاصه - كان ممن يحميه من أمامه ومن ورائه ، ولا يدع سهام الأعداء تصل إليه ، وهو ، وإن كان يعرف أن ابن عمه لا يكاد يستقر في مكان ، فليس يمنعه ذلك نصره والدفاع عنه ، وهو إذا أودعه سراً صطنه وحفظه حتى يطلب إليه أداؤه . وهو إذا جنى جناية أو غرم غرمًا ثقیلاً حمل عنه أثقاله وأهان من أجله كرائم ماله . وهو إذا قل ملل ابن عمه وأصاب الجرب سوامه أعطاه من ماله وقبض صحبته بجربائه ، وإذا صعبت عليه الأمور كان له مطية يسهل عليه صعبها ، وإذا كان مسافراً وجاء بهدية طريفة لم يطلع من وراء الحجاب ليعلم ما الهدية ، وإذا لبس ثوباً جميلاً لم يحسده عليه ، ولم يتمن أن يكون له هذا الثوب الجميل .

• • •

مواضع الإنصاف في القصيدة

كل ما في القصيدة إنصاف لابن العم من ابن عمه ، ويمكن أن نعتبرها تمثل نموذجاً راقياً ودستوراً للعلاقة بين الإخوان وأبناء العمومة حين لا تكون بينهم عداوة ، كما في المنصفة الرابعة وحين يبلغون أسمى معاني الوفاء والإخاء .

وهذه القصيدة من النوع الثاني من المنصفات ، النوع الذي يتناول
إحاض الإخاء بين الناس ، فالشاعر يحمي ابن عمه ويدافع عنه ويصون
سره ، ويعطيه ماله إذا أجحف الدهر بماله ويسهل عليه العسير ، ويرد
عنه المغارم .

وهو في الوقت نفسه لا يطلب على هذا الصنيع أجراً ، فلا يجب
أن يعرف ما يأتي به ابن عمه من طرائف اذا كان مسافراً ، بل هو لا
يجب أن يكون له ثوبه الحسن إذا ارتدى ثوباً جميلاً ، وتظهر سذاجة
الشاعر ومتطلبات حياته اليسيرة في جعله الحسد في اللباس ، وتلك الصورة
من الحياة السهلة التي يكون فيها الثوب الحسن موضع حسد والتي لم تصل
الى مرحلة التعقيد والغنى ، صورة تدعونا ولو قليلاً الى أن نجعل
الشاعر جاهلياً لا إسلامياً .

الحق أن الشاعر لا يذكر موقف ابن عمه منه ، وهل هو ينصفه
كما هو له منصف ، ولكن القصيدة تبقى كما قلنا دستوراً للإخاء ونموذجاً
للوفاء دون ترقب لجزاء .



القَصِيدَةُ

قال أبو عروبة المدني :

إني وإن كان ابن عمي غائباً

لمزاحم من دونه وورائه^(١)

ومفيده نصري ، وإن كان امراً

متزحزحاً في أرضه وسماؤه^(٢)

ومتى أجهته في الشدائد مُرملاً

ألقى الذي في مزودي لوعائه^(٣)

(١) في الحماسة : لأبي تمام : لمقاذف . في الأغاني والدرّة : عاتباً ، في درة الغواص :
لمراجع من دونه ، وفي حماسة البحتري : لمقاذف من دونه .
والمعنى : إن غاب ابن عمي لم يغيرني غيابه وظلمت له كما كنت ،
أدافع عنه من أمامه ومن ورائه ، ولا أتخلى عنه .

(٢) في الأغاني : عن أرضه وسماؤه . في حماسة البحتري : ومنعده
نصري . المتزحزح : المتباعد وقوله : في أرضه وسماؤه ، يريد في غوره ونجده .
والمعنى : وأقوم بنصره ، وإن تباعد عني في كل مكان . ولا نرى أن
يكون معنى قوله « متزحزحاً في أرضه وسماؤه » أنه لا يثبت على عهد ولا تدوم
له مودة كما رأى بعض المفسرين .

(٣) ورد البيت في الحماسة وحدها .

وأكونُ واليَ سرِّه وأصونُه

حتى يحينَ عليَّ وقتُ أدائه^(٤)

وإذا جَنَى غُرماً سَعَيْتُ بنصره

حتى أُهينَ كرائمي لِفدائِه^(٥)

وإذا الحوادثُ أَجَحَفَتْ بِسَوائِمِه

قُرِنتُ صَحيحتُنَا إلى جَرَبائِه^(٦)

— ومرملاً حال من الهاء المفعول به في أجئه ، فابن عمه هنا هو المرملة .
والمرمل : الذي افتقر وفقد زاده . والمزود : وعاء الزاد . والمعنى : إذا وجدته
فقيراً غير ذي زاد في أيام الشدائد أعطيته مالمدي من زاد ، وألقيته في مزوده
سراً لا يشعر بي .

(٤) ورد البيت في درة الغواص وشرحها ، وفي الأغاني ، ولم يرد في
الحماسة . وفي الدرة : حتى يحينَ إليَّ وقت أدائه .
والمعنى : إنني أصون سر ابن عمي وأحفظه حتى يطلب مني أدائه في
حينه فأؤديه .

(٥) ورد البيت في حماسة البحري فقط ص ٣٩٠ . ومعنى البيت
واضح .

(٦) في الحماسة لأبي تمام : وإذا تتبعت الجلائف مالنا ، ورويت : الخلائف .
والجلائف : جمع خليفة ، وهي السنة الشديدة تجلف المال أي تقشره كما يقشر الجلد .
ولا يكون في البيت إذا كانت الجلائف — لا الخلائف وهي جمع خليفة — ما يدل —

وَإِذَا دَعَا بِاسْمِي لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا
صَغْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَانِهِ^(٧)
وَإِذَا أَتَى مِنْ وَجْهَةٍ بِطَرِيفَةٍ
لَمْ أَطْلُعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ^(٨)

— على أنه قيل في الإسلام .
ووردت الرواية المذكورة هنا في الدرة وفي الأغاني .
ورواية لسان العرب : وَإِذَا تَعَرَّقَتْ الْجَلَائِفُ مَالَنَا فِي الْبَحْتَرِيِّ : وَإِذَا
تَعَرَّقَتْ الشَّدِيدَةُ مَالَهُ .
وتعرق : أهلك . وأجحفت بسوامه : ذهبت به وسلبته . والصحيحة
والجرباء من الأمثال ومعنى البيت : إِذَا أَصَابَتِ السَّنُونُ الشَّدَادُ سَوَامَنَا خَلَطْنَا
فَقَرَهُ بَغْنَانًا وَغَثَّهُ بِسَمِينًا .
(٧) ورد البيت في الأغاني وفي الدرة وفي حماسة البحتري : وَإِذَا تَيْمَمُ أَنْ
يَبَاشِرَ مَوْضِعًا . السَّيْسَاءُ : مِنَ الْحِمَارِ وَالْبَغْلِ الظَّهْرُ وَمِنَ الْفَرَسِ الْحَارِكُ ، وَهُوَ مَوْضِعُ
الرَّكُوبِ . وَالسَّيْسَاءُ مَذْكُورٌ لِأَخِيرِ .
والمعنى : إِذَا أَرَادَ أَمْرًا صَعْبًا وَطَأَتْ لَهُ ظَهْرُهُ وَأَمَكْنَتْهُ مِنْ بُلُوغِهِ .
(٨) فِي الْأَغَانِي وَالْدَّرَةِ : مِنْ وَجْهِهِ . وَفِي الدَّرَةِ : فِيمَا وَرَاءَ .
وَالْوَجْهَةُ : هِيَ السَّفَرُ ، وَالطَّرِيفَةُ : مَا يَتَطَرَّفُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَمْ
أَطْلُعْ : يَرِيدُ لَمْ أَتَطَّلِعْ إِلَى مَا سَتَرَهُ عَنْهُ ، وَالْخَبَاءُ : مِنْ أَبْنِيَةِ الْبَدْوِ مَا يَكُونُ دُونَ الْبَيْتِ
مِنْ صَوْفٍ أَوْ وَبَرٍ أَوْ شَعْرٍ .
يشير بذلك إلى تنزيه نفسه عن الطمع فيما ليس له ، فإذا كان ابن عمه في
سفر وعاد يحمل الطرائف لم يتطلع من وراء الستر يحاول معرفة ما جاء به .

وإذا أرتدى ثوباً جميلاً لم أقُلْ
يا لَيْتَ أَنَّ عَلِيَّ حُسْنِ رِدَائِهِ^(٩)



(٩) في الحماسة : وإذا اكتسى .

وهو في هذا البيت يدل على قلة المنافسة وترك الحسد ، فإذا اكتسى ابن عمه ثوباً جميلاً فرح به كأنما هو يلبسه ولم يتمن أن يكون هذا الثوب الجميل له دون ابن عمه .

الْمُنْصِفُ لِلْسَّائِسَةِ

الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرَّخِ الْعِجَائِي

• الشاعر

• تخریج القصيدة

• مناسبتها

• موهبا

• مواضع الانصاف فيها

الشاعر^(١)

هو العُدَيْلُ بن الفرخ بن معن بن الأسود بن عمرو بن عوف ابن ربيعة بن جابر بن الحارث العجلي ، من رَهْطِ أَبِي النَّجْمِ العجلي . والعُدَيْلُ بهيئة التصغير ، والفرخ ضبط بالشكل في الكتب الموثوق بتصحيحها بفتح الفاء . وضبطه صاحب الخزانة بالقول : (الفرخ بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .) فضم الفاء شاذ ، لم أجد ما يؤيده وأخشى أن يكون سهواً أو خطأ^(٢) .

وضُبطَ في الجزء السادس من الأغاني : الفرخ بالضم ، في تحقيق دار الكتب^(٣) . وفي الجزء العشرين من طبعة بولاق : الفَرَج بالجم وهو وهو تصحيف^(٤) .

وقد اخترنا فتح الفاء دفعا للشذوذ .

ولقب الشاعر العَبَّاب ، وهو اسم كلب كان له كما ذكر ابن قتيبة ، أو كلب جده الحارث كما جاء في الأغاني . والعَبَّابُ بفتح العين وتشديد الباء الموحدة .

(١) الخزانة ٢ : ٣٦٧ - ٣٦٨ . الأغاني ٦ : ٦٤ / ٢٠ : ١١ - ١٩ الاشتقاق :

٢٠٨ . الشعر والشعراء : ٣٧٥ - ٣٧٧ . حماسة أبي تمام : ٤٢٦ - ٤٣٤ ...

(٢) الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر طبعة أولى الجزء الأول ٣٧٥ - ٣٧٧ .

(٣) الأغاني ٦ : ٦٤ طبعة دار الكتب .

(٤) الأغاني : ٢٠ - ١١ - ١٩ طبعة دار بولاق .

وقبل أن نمضي في سيرة الشاعر لابد أن نقف قليلاً عند رواية أخرى تعزو منصفته هذه الى شاعر آخر من قبيلته هو أبو الأخيل العجلي، قال أبو رياش^(١) :

« ليست هذه الأبيات - أي الدالية - للعديل ، وإنما هي لأبي الأخيل العجلي ، من قصيدة طويلة ، وهو شاعر اسلامي أيضاً في عهد بني أمية^(٢) » .

ثم يروي أبو رياش مناسبة انشاد القصيدة .

ونحن اذا راجعنا ترجمة العديل الطويلة في الأغاني ، لانجد ذكراً لبيت واحد من القصيدة الدالية ، وربما كان من ينفي أقرب الى الصواب ممن يثبت . ولكننا مع ذلك نثبت القصيدة للعديل بن الفرخ لورودها في مصدر أو مصدرين معروفين .

وأخبار العديل في الأغاني والخزانة والشعر والشعراء وشرح حماسة أبي تمام مستفيضة ، ولا سيما في المرجع الأول .

وقد ذكر صاحب الأغاني أن العديل شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية وكان له ثمانية أخوة ، وأهمهم جميعاً امرأة من بني شيان . ولعل حياته كانت سلسلة من المتاعب والمشكلات والهروب والتشرد ، بل لعلنا أن نجد بعده عن الانصاف في كثير من مواقفه وأعماله ، رغم أنه حريص على الانصاف في شعره وأقواله .

(١) هو أبو رياش اللغوي ، أحمد بن ابراهيم الشيباني إنباء الرواة الى إنباء النحاة للقفطي ج ١ ص ٢٥ .

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام ، مختصر شرح التبريزي ، للخفاجي طبعة ١٣٧٤ هـ -

١٩٥٥ م . ج ١ : ص ٤٢٧ .

فقد كان العدیل واخوته ابن عم یسمى عمراً، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم، فغضبوا ورصدوه لیضربوه. وخرج عمرو ومعه عبد له یسمى دابغاً، وكانت معركة لم تكتف بالضرب حتى وصلت الى قتل بعض اخوة العدیل، والى شج العدیل فی رأسه، فلما شفی العدیل لحق مولی ابن عمه دابغاً فی وادی حنین فقتله غيلة وغدراً وافتخر بذلك فی شعره. واستعدى عمرو مولی دابغ على العدیل الحجاج بن یوسف الثقفی فأسرف العدیل مرة أخرى على نفسه وعلى الناس وهرب من الحجاج الى بلاد الروم، وهجا الحجاج فقال:

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساطاً لأیدی الیعملات عریض^(١)
مهامه أشباه كأن سرابها ملاء بأیدی الغاسلات رحيض^(٢)
وكتب الحجاج الى قیصر: « والله لتبعثن به أو لأغزینك خيلاً
یکون أولها عندك وآخرها عندي. »

فبعث به الى الحجاج فلما دخل علیه قال له: أنت القائل:
ودون...

فكيف رأيت أمكن الله منك؟

فقال العدیل: أنا القائل:

فلو كنت فی سلمی أجا^(٣) وشعابها لكان لحجاج عني دليل

(١) الشعر والشعراء ص ٣٧٥ - ٣٧٧: البساط بفتح الباء وكسرهما: الأرض العریضة الواسعة. الیعملات: من الابل: جمع یعملة: النجیبة المطبوعة على العمل.

(٢) الملاء: بضم الميم جمع ملأة. الرحيض: المرخوض أي المغسول.

(٣) أجا وسلمى: جبلا طيء. وأجا يهتز ولا يهتز.

خليلُ أمير المؤمنينَ وسيفُهُ لكلِّ إمامٍ مصطفى و خليلُ
بنى قبة الإسلامِ حتى كأنَّما هدى الناسَ من بعدِ الضلالِ رسولُ
ونلاحظ أنه أسرفَ مرةً ثالثة حين جعل من الحجاجِ بانياً لقبة
الإسلام ، وهو الذي هدم الكعبة ، وجعله رسولاً يهدي الناس الى الحق
بعد الضلال ، وهو الطاغية الذي أراق دماء الناس فجرت كالسيل .
ولكن العديل قال ماقال خوفاً وجزعاً ، فخلى الحجاجُ سبيله وتحمل
دية دابغ من ماله .

وهرب العديلُ مرةً أخرى الى نجد .
وكان العديل يشرب مع وكيعٍ أحد بني الطاغية ، فضرب يده
فقطعها وافترقا ثم هرب العديل .

وقد لقي العديل كثيراً من شعراء عصره وكانت بينه وبينهم
صلات وأولهم الفرزدق ، وكنا يتنادمان ويصطحبان ، وسئل الفرزدق
منصرفه عن بكر بن وائل :

— يا أبا فراس ! من شاعر بكر بن وائل ممن خلفته خلفك ؟
قال : — أميم بن عجل — يعني العديل بن الفرخ — على أنه ضائعُ
الشعر سروقٌ للبيوت .

والسرقة — إذا صدقنا الفرزدق — إسراف آخر في طباع العديل
صاحب هذه المنصفة .

بل إن العديل يترجح بين الإسراف والإنصاف في علاقته بأبي
فراس نفسه فقد نال الفرزدق جائزة لم ينلها العديل فقال معاتباً (١) :

(١) حماسة ابن الشجري : طبعة حيدر آباد الدكن ص ٦٦ .

أني الحق أن يعطى الفرزدق حكمته
سأهدي إلى قيس بن سعد قصيدة
أهم فتثني أواصر بيننا
ويخرج كتفي من نوالكم صفرا
متى ما تلاق العظم تترك به كسرا
وأيد حسان لم أوذ لها شكرا

ولكن ذلك لم يمنع الفرزدق من رثاء العدیل حين مات فقال^(١) :
وما ولدت مثل العدیل حلیلة
وما زال منذ شدت يداه إزاره
وقد ذكرت أبو الفرج إحدى المداعبات بينها قال :
« قال أبو النجم العجلي للعدیل بن الفرخ : - رأيت قولك :
فإن تك من شيبات أُمي فإنني لأبيض عجلي عريض المفارق
أكنت شاكاً في نسبك حين قلت هذا ؟
فقال له العدیل : - أفشكت في نفسك أو شعرك حين
قلت :

أنا أبو النجم وشعري شعري
فأمسك أبو النجم واستحيا^(٢) .
والعدیل هو القائل^(٣) :
ما أوقد الناس من نارٍ لمكرمة
وما يعدون من يومٍ سمعت به
جئنا بأسلابهم ، والحيل عابسة
إلا اصطَلينا وكنا موقدي النار
للناس أفضل من يومٍ بذى قار
يوم استلبنا لكسرى كل أسوار

(١) و (٢) الأغاني الجزء ٢٠ : ١١ - ١٩ .

(٣) الشعر والشعراء : تحقيق شاکر ص ٣٧٧ .

لا نستطيع أن نحدد تماماً تاريخ وفاة العدیل ، فإذا كان الفرزدق قد رثاه كما ذكرنا ، وقد مات الفرزدق سنة ١١٠ هـ في أصح الروايات فموت العدیل إذن كان قبل هذا التاريخ بقليل .

• • •

تخريج القصيدة

تقع القصيدة في حماسة أبي تمام في ثلاثة وعشرين بيتاً ، وقد اعتمدنا هذا النص وحده في كتابنا هذا ، وأشرنا الى فروق في الرواية قليلة عند شرح الأبيات .

ورجاؤنا أن نقع على القصيدة الطويلة التي ذكر أبو رياش أن هذه لأبيات جزء منها .

• • •

مناسبة القصيدة

قال أبو رياش يذكر مناسبة القصيدة : « وسببها أن أبا الأخيل وقد على عمر بن هبيرة الغزاري في آخر أيام بني أمية فقيل له : إن أبا الأخيل بالباب يستأذن فقال : اذن والله لا يأذن له غيري . فقام من مجلسه حتى أتاه بالباب فأخذ بيده وأقعده معه على بساطه ثم قال : أنشدني من فتك فأنشده إياها ، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفاً . وهذه القصيدة إحدى المنصفات^(١) »

(١) حماسة أبي تمام : مختصر التبريزي ج ٢ : ٤٢٧ .

وهكذا في غمرة المعارك الدامية التي دارت بين القبائل العربية في العصر الأموي فزعزعت أركان الدولة ومزقت العرب ومهدت لاستيلاء العباسيين على الحكم يؤيدهم أهل فارس ، نجد هذه الصرخة المدوية يطلقها شاعر عربي يدعو فيها الى السلام بين الإخوان والى الكف عن الحروب ، بل إن الشاعر يريد أن يموت مستريحاً وأن لا يسمع في قبره بأنباء الحرب المدمرة التي تفرق بين الأخوة وتسفك دماءهم بأيديهم .

ولكن الشاعر يموت والمعارك تستمر ، والنزاعات القبلية التي أثارها بنو أمية ليستمروا في حكم الدولة تنقلب عليهم فتدمرهم تدميراً .

• • •

جو القصيدة

يبتدىء الشاعر بالغزل ، ولعله يريد بهذا أن يفتح حديثه الى قومه بالحُب ومرح الحياة وجمال المرأة فحبيته ذات دمالج وعقد ، وثناياها بيض وشعرها أسود ، وريقها كالشهد ، وقد كان يتمتع بها وتتمتع به لولا أن غربان السوء نعقت وفرقت بين الأحباب ، وإذا هو في صورة أخرى مباينة للصورة الأولى مباينة كاملة ، صورة الدماء والرماح والسيوف والدروع ، فلا يكاد يمضي في تصوير أهوال الحرب بين قبيلته حتى تأخذه عاطفة القرابة ، فإذا يده تدمي يده وساعده تقطع ساعده ، وإذا كل القبيلة التي تقتل أهل وإخوان .

إن الشاعر يسقي الموت بيديه إخوانه الذين أبوه أبوه في المزاح وفي الجد . وهم ينادون بالنزار ، وهو ينادي بالنزار ، وهم يتبادلون

الضراب والطعان بالسيوف والرماح ، فإذا رأى الدم يسيل من ذراعه
ومن عضده أخذه الحزن واستبد به الأسى . فكيف يخرج على قيس
بقيس ؟ وكيف يحارب سعداً بسعد ؟ وكيف يضيع عمراً بعمره ؟ إنه
عندئذ كمن يهرق ماءه في الصحراء ، وليس له سواه ، حين يرى سراباً
بعيداً فوق رابية صلاء ، بل إنه مثل النعامة تنسى أولادها وترعى
أولاد غيرها .

ثم إنه يوصي أهله ، وقد ظن أنه يموت ، أن يبقى في اللحد
مستريحاً لا يسمع أنباء القتال بينهم ، ولا يرى رمي النبال بعده . وتأخذه
العاطفة الدينية بعد العاطفة القبلية فهو يخوفهم من النار ، ويجب إليهم
جنة الخلد .

وأخيراً يثير حماسة الفريقين وأنهم أكثر عدداً من التراب ،
وأنهم جبلان يحميان الأرض فلو تزعزعا دكت الأرض دكا ، وهم متساوون
في النسب ، متساوون في الشجاعة ، بل إن رماحهم متساوية في الطول ،
وهم مثلهم كما تقدم من الجلد السيور .

• • •

مواضع الإنصاف في القصيدة

القصيدة إنصاف كلها ، بل إن المعركة التي يصفها الشاعر ،
والنتائج التي أسفرت عنها ، لا تجري بين عدو وعدو ، إنما هي تجري بين
أخ وأخ ، فالأب واحد والقبيلة واحدة ، والسلاح واحد ، واليد التي
ترمي هي اليد التي ترمى ، والذراع التي تقطع هي الذراع التي تقطع ،

والشاعر وصاحبه كلاهما يهرق ماءه للمع سراب ، وكلاهما يضيع أولاده
ليحفظ ولد غيره .

هذا الإنصاف يكاد يكون تسوية كاملة بين الفريقين المتنازعين .
بل إن الشاعر يخوف الفريقين جميعاً من النار ، ويُرجّئهم جميعاً الجنة ،
ويوصيهم بعد موته ألا تسمع هامته صباح قتالهم .

ولئن عرفنا الشاعر وثاباً على أبناء عمه وإخوانه ، كما مر بنا في
ترجمته ، فلعل هذا الانصاف الشديد الدقيق كان من آثار ذلك العرام
الشديد ، وقد تلتقي الأضداد ، وتنقلب النفوس ، ولا سيما حين تلقى من
دهرها ما يدفعها الى العودة الى ماضيها والتدبر في أمورها واستقبال الحوادث
في الحياة استقبالاً جديداً من وجهة نظر جديد .

ولقد حفظت لنا كتب الأدب مالقيت هذه المنصفة من اجلال
وتعظيم ، حتى إن والي العراقين وخراسان عمر بن هبيرة الفزاري هرع
الى قائلها وأجلسه على بساطه معه . ثم قال : أنشدني منصفتك ، فأنشده
إياها ، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفاً^(١) .

وقد امتدت ولاية عمر بن هبيرة على العراق وخراسان حتى عام ١٠٥ .
ولسنا نستطيع ذكر هذه القصيدة دون أن نعرج على قصائد
أخرى كثيرة استلهمت معاني هذه المنصفة . وسارت على نهجها ، وهي تمثل
القصائد التي نظمها أبو عبادة البحتري في الحروب بين العرب في زمن بني

(١) تقدم الخبر في ص ١١٠ .

العباس ، والتي تمثّل ذروتها قصيدته التي منها هذان البيتان (١) :
شواجر أرماحٍ تقطّعُ بينهم شواجر أرحامٍ ملومٍ قطوعها
إذا احترّبت يوماً ففاضت دماؤها تذكّرت القربى ففاضت دموعها

(١) انظر حديث الشعر والنثر لطفه حسين .

القَصِيدَةُ

قال العَدَيْلُ بنُ الفَرَخِ العِجْلِيُّ :

أَلَا يَا أَسْمَى ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ والعِقْدِ

وَذَاتِ الثَّنَايَا الغُرِّ والفَاحِمِ الجَعْدِ^(١)

وَذَاتِ اللَّثَاتِ الحُمِّ والعَارِضِ الَّذِي

بِهِ أَبْرَقَتْ عَمْدًا بِأَبْيَضَ كَالشَّهْدِ^(٢)

كَأَنَّ ثَنَايَاهَا اغْتَبَقْنَ مُدَامَةً

ثَوَتْ حَجَبًا فِي رَأْسِ ذِي قُنَّةٍ فَرْدِ^(٣)

(١) الدماليج : جمع دملوج سوار اليد ، العقد : القلادة . الثنايا : من
الأسنان . الفاحم : الشعر الأسود . الجعد : ضد المسترسل .

والمعنى : دومي لنا سالمة أيتها المرأة ذات السوار والقلادة ، وصاحبة
الثنايا البيض والشعر الأسود الجعد .

(٢) اللثات : جمع لثة وهي مغارس الأسنان . اللحم : جمع أحمر وهو
الأسود . العارض : هنا الناب والخرس .

المعنى : ويا صاحبة اللثات السود والأسنان التي تهرق بالرضاب الأبيض
الشهي كالعسل .

(٣) الغبوق : شرب العشي . وخصه لأنه يريد أن فيها تطيب رائحته -

جَرى بفراقِ العامريَّةِ غُدْوَةً
شَوَاحِجُ سُودٍ مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْدي^(٤)
لَعَمري لقد مَرَّتْ بي الطيرُ آنفاً
بما لم يَكُنْ إِذْ مَرَّتِ الطَّيرُ مِنْ بُدٍّ^(٥)
ظَلَمْتُ أُسَاقِي الموتِ إِخْوَتِي الألى
أبوهُم أبي عِنْدَ المَزَاحَةِ والجَدِّ^(٦)

— عند السحر إذا تغيرت روائح الأفواه . وثوت : أقامت ، والضمير للمدامة .
والحجج جمع حجة وهي السنة . القنة : رأس الجبل .

والمعنى : إن فيها تطيب رائحته كأن ثنائها سقيت مدامة معتقة أقامت
أمدأ طويلاً في مكان عال فأورثها مكانها برودة ولوناً لطيفاً .

(٤) الغدوة : أول النهار . الشواحيج : جمع شاحجة : وهي الغربان
لاتعيد ولا تبدي : أي لا تبدي معنى ولا تعيد فحوى .

(٥) أنت الطير لأنه أراد الجماعة منها . وآنفاً : ظرف أي أول وقت .
ومن زائدة . وبد : اسم يكن .

والمعنى : لقد مرّت بي الطير من عهد قريب ، وعلمت من مرورها أن
لا بد من وقوع حادث جلل .

(٦) الألى : الذين . والمعنى : لما دلت الطير حين مرّت بي على أمر سيقع
أوقعت بإخواني وساقيتهم كأس الموت ، وإن كنا في الحقيقة أبناء جد واحد ،
وذلك لاختلاف شؤوننا بتقلب الزمان .

كَلَانَا يُنَادِي يَانْزَارُ وَدُونْدَانَا
 قَنَا مِنْ قَنَا الْخَطِيَّ أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ^(٧)
 قَرُومٌ تَسَامِيْ مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمْ
 مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسْجٍ دَاوَدَ وَالسُّغْدِ^(٨)
 إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً مَثَلُوا لَنَا
 بِمُرْهَفَةٍ تُذْرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُعْدِ^(٩)

(٧) نزار بن معد بن عدنان . والخطي : نسبة الى موضع تجلب إليه الرماح من الهند .

والمعنى : كان شعار كل من الفريقين بالنزار وهم يتطاعنون بالرماح .
 (٨) القروم : الفحول ومفردها قرم . وتسامي : تتسامى في العز والشرف .
 والمضاعفة : الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين . والسغد : بلاد تعمل بها الدروع .
 والمعنى : هؤلاء المتحاربون أشرف من نزار لا تراهم إلا وهم يلبسون
 الدروع السابغة .

(٩) المرهفة : السيوف الرقيقة . تذري : تقطع وتسقط . من صعد : من أعلى .

والمعنى : إذا تقدمنا إليهم بالحملة مثلوا لنا وقابلونا بالسيوف المرهفة التي
 تقطع السواعد من أعاليها .

وإن نَحْنُ نَازِلُنَاهُمْ بِصَوَارِمٍ

رَدَوْنَا فِي سَرَابِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزَدِي^(١٠)

كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا أَزَالَ أَرَى الْقَنَا

تَمَجُّ نَجِيعًا مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضْدِي^(١١)

لَعَمْرِي لئن رُمْتُ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ

بِقَيْسٍ عَلَى قَيْسٍ وَعَوْفٍ عَلَى سَعْدٍ^(١٢)

وَضِيعَتُ عَمْرًا وَالرَّبَّابَ وَدَارِمًا

وَعَمْرُو بْنُ أَدٍّ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ أَدٍّ^(١٣)

(١٠) ردوا : من الرديان ، وهو سرعة المشي ، وسراويل الحديد :
الدروع . والمعنى : وإن نحن نازلناهم بقواطع السيوف هزلوا إلينا بالدروع
الثقيلة كما نهزل إليهم .

(١١) تمج : تصب . والنجيع : الدم المائل للسواد أو دم الجوف .
وأراد بذراعه وعضده قومه الذين يتقوى بهم .

والمعنى : إن الحزن كل الحزن في رؤيتي الرماح ينصب منها دم قومي ويراق .

(١٢) لعمرى : قسم وجوابه لكنت في البيت ١٤ .

والمعنى : لئن رمت الإيقاع بهم بخروجي عليهم فذلك إيقاع الإخوان
بالإخوان فنخرج بقيس على قيس وسعد على سعد ، لأن عوفاً هو ابن سعد .

(١٣) في المرزوقي : وعدوان ودّ كيف أصبر عن ود .

لكنْتُ كَمُهْرِيْقِ الَّذِي فِي سِقَائِهِ
لِرَقْرَاقِ آلٍ فَوْقَ رَايِيَةِ صَلْدٍ^(١٤)
كَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ
بَنِي بَطْنِهَا . هَذَا الضَّلَالُ عَنِ الْقَصْدِ^(١٥)
فَأَوْصِيَكُمَا يَا ابْنِي نِزَارٍ فَتَابِعَا
وَصِيَّةَ مُفْضِي النُّصْحِ وَالصَّدَقِ وَالْوُدِّ^(١٦)

— والمعنى : إذا ضيعت قومي هؤلاء حزنت عليهم ولا سيما عمرو بن أد .
(١٤) لكنْتُ : جواب القسم . ومهريق : مثل مريق . السقاء : الزق . الرقراق :
المضطرب . الآل : السراب . الرايية : الرملة المرتفعة . الصلد : الشديد الأملس
والمعنى : إذا قاتلت إخواني كنت كمن يصب ماء زقه في الأرض المقفرة
طمعاً في رقراق سراب ، فأنا كالمُغْتَرِّ بفعله أضيع ما عندي حقيقة لأطلب وهماً
وباطلاً .

(١٥) القصد : الصواب . معنى البيت : وأنا أيضاً إذا قاطعت أوليائي
وأصدقائي صرت مثل مرضعة ضلت عن الصواب فأرضعت أولاد غيرها ،
وتركت أولادها جوعاً وكذلك تفعل النعام لسوء هدايتها ، فتترك الواحدة منها
بيض نفسها وتسوم في المرعى فإذا أرادت العودة إليها لم تهتد فتجثم على بيض
غيرها .

(١٦) يروى : مصفي النصح بدل مفضي . وقد جعل وصاته شاملة
لقبائل ربيعة ومضر ، وهما ابنا نزار بن معد .

فلا تَعْلَمَنَّ الحربَ في الهامِ هامتي
ولا تَرْمِيَا بالنبلِ وَيَحْكُمَا بَعْدِي^(١٧)
أما ترهبانِ النارِ في ابني أَيْكُمَا
ولا ترجوانِ الخلدِ في جَنَّةِ الخلدِ^(١٨)؟
فما تُرْبُ أَثَرِي لو جَمَعْتُ تُرَابَهَا
بأكثر من ابني نِزارِ على العَدِّ^(١٩)

— والمعنى : يا ابني نزار أو صيكما قبل موتي فاتبعوا وصيتي فإنها وصية ناصح مخلص لكم .

(١٧) يورد الوصية في هذا البيت . اخترنا نصب الحرب على أنها مفعول به وهامتي هي الفاعل . وهناك من اختار رفع الحرب على أنها فاعل . ومعنى البيت : يا اخواني من أبناء نزار عودوا الى السلم ودعوا الحرب لعلني لا أسمع في قبوري أصداء المعارك بينكم ولا أرى السهام والنبال ترمى بها صدوركم .

(١٨) المعنى : أما تخافون عقاب الله في حربكم ، ولا ترجون رضا الله في جنة الخلد بسلامكم وصلة أرحامكم ؟

(١٩) الثرى وأثرى : اسمان للأرض . ومعنى البيت : إن ربيعة ومضر كثيرون كثرة التراب في الأرض فما بالهم يبيد بعضهم بعضاً .

هما كَنَفَا الأَرْضِ اللِّذَا لَوْ تَزَعَزَعَا
 تَزَعَزَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السُّدِّ (٢٠)
 وَإِنِّي ، وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ
 لَتَأْلُمَ مِمَّا عَضَّ أَكْبَادُهُمْ كَبْدِي (٢١)
 فَإِنَّ أَبِي عِنْدَ الْحَفَازِ أَبُوهُمْ
 وَخَالَهُمْ خَالِي وَجَدُّهُمْ جَدِّي (٢٢)
 رَمَاحُهُمْ فِي الطُّولِ مِثْلُ رَمَاحِنَا
 وَهُمْ مِثْلُنَا ، قَدَّ السُّيُورِ مِنَ الْجِلْدِ (٢٣)



-
- (٢٠) الكنف : الجانب . ومعنى البيت : وهما قوام كل قبيلة ، فكأنهما
 جانبا الأرض فلو تحركا تحركت ولو سكنا سكنت .
 (٢١) معنى البيت : لست أريد عداوتهم ولا هجرهم فهم مني وأنا منهم
 أحب ما يحبون وأكره ما يكرهون .
 (٢٢) الحفاظ : المكارم والمكاره . والمعنى : أنا وهم عند الفخر من بيت واحد .
 (٢٣) القد : القطع طولاً ، وهو منصوب على المصدرية . والسيور : جمع
 سير ما يقدر من الجلد وضربه مثلاً في المساواة .
 ومعنى البيت : ان مفاخرهم في الأنساب والأحساب لا تتجاوز مفاخرنا
 فنحن وهم من أصل واحد ، وذلك كما تقطع السيور من الجلد على قدر واحد .

مقطوعان

في

الانصاف

الانصاف في النصر

(١)

قال العباس بن مرداس السلمي (*):

هَزَمْنَا إِذْ لَقِينَا جَيْشَ رَعْلٍ

وَذَكَوَانَا وَجَمَعَ بَنِي خُفَافٍ

وَمَا إِنْ طَبَّهْمُ جُبْنٌ وَلَكِنْ

رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِ

(٢)

وقال شُبَيْلُ الْفَزَارِيِّ ، وحاربه بنو أخيه فقتلهم ؛ يبكي قتلاه

ويتحسر عليهم ويذكرُ شجاعتهم ، وأن نصره عليهم كان
بحيلةٍ منه (**):

أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو

فِيكَفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ^(١)

(*) انظر مقدمة الكتاب ، والمنصفة الثالثة .

(**) حماسة أبي تمام الطائي ٢٢٦ .

(١) معنى البيت : تلهف على قتله أولاد أخيه الذين كانوا ينصفونه عند

الملمات ، إذا دعاهم لها .

وما من ذلّةٍ غلبُوا ولكن
كذلك الأُسْدُ تفرّسها الأسود^(٢)
فلولا أنّهم سبقَتْ إليهم
سوابقُ نبِلنا ، وهمُ بعيد^(٣)
لحاسونا حياضَ الموتِ حتّى
تطأيرَ منْ جوانِبنا شريد^(٤)



(٢) معنى البيت : نحن ماقتلناهم لضعفهم ، ولكن الأسود تفترسها
الأسود .

(٣) هم بعيد : يقع على المفرد والجمع أي وهم متباعدون . والمعنى :
نحن رميناهم بسهامنا السابقة إليهم ، وهم على بعد فقتلناهم .

(٤) المعنى : لولا سهامنا سبقت إليهم لكانوا سقونا من حياض الموت
كما سقيناهم ، حتى تتطأير أعضاؤنا .

النصف في الهزيمة

- ٣ -

قال فروة بن مسيكة المرادي (*):

إن نهزم فهزامون قديماً

وإن نهزم فغير مهزميناً^(١)

(*) فروة بن مسيكة : صحابي جليل ؛ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كندة ومبايعاً للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال له يوماً : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم ؟ فقال : يا رسول الله ومن ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرزم إلا ساءه ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً .

وكان بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أختنقوا . وفي ذلك يقول فروة هذه الأبيات ، وفي نسبة بعضها إليه خلاف كبير .
المصادر : الكتاب : ٤٧٥ ، الوحشيات : ص ٢٨ ، شرح شواهد المغني : ٨١ ، خزانة الأدب ٢ : ١٢١ .

(١) مهزّم : كثير الانهزام أمام الأعداء . ومعنى البيت : إن هزمنا أعداؤنا في معركة فطالما هزمناهم ، وإن هزمنا أعداؤنا فقل أن نعرف الهزيمة فنحن دائماً منتصرون .

وما إن طَبَّنَا نُجِبْنُ وَلَكِنْ
مَسَايَانَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَا^(٢)
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ
تَكْرُرُ صُرُوفُهُ حِيناً فَحِيناً^(٣)
فَأَفْنَى ذَلِكَكُمْ سُرُوَاتٍ قَوْمِي
كَمَا أَفْنَى الْقُرُوفَ الْأَوَّلِينَ^(٤)
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذْنَ خَلَدْنَا
وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذْنَ بَقِينَا^(٥)

(٢) الطب : العلة والسبب والعادة . ومعنى البيت : لم يكن سبب قتلنا الجبن ، وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال والدولة عنا .

(٣) سجال : مرة على هؤلاء ومرة على هؤلاء . من مساجلة المستقين على البئر ، بالسجل وهو الدلو .

(٤) سُرُوَات : جمع سري ، وهو السيد الشريف .

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ

كَلَّا كَلَّهُ أَنْاخَ بآخِرِينَا^(٦)

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا

سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا أَقِينَا^(٧)



(٦) الكلا كل : جمع كل كل وهو الصدر .

قال رجلٌ من حميرٍ في معركةٍ كانت بينها وبين عبد مناة ،
وكانت على حمير (*) :

من رأى يومنا ويوم بني التَّ
تَنِمَ إِذْ أَلْتَفَّ صِيقُهُ بِدَمِهِ ^(١)
لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشْبُ
شَدُّوا حَيَازِمَهُمْ عَلَى أَكْمِهِ ^(٢)
كَأَنَّمَا الْأُسْدُ فِي عَرِينِهِمْ
وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتْمِهِ ^(٣)

(*) الحماسية ١٠٨ .

(١) من رأى : على معنى يامن رأى .

الصيق : الغبار ، والتفافه برشاش الدم من الجراح .

(٢) الأشب : كثير الجلبة . الحيازيم : الصدور ، وأراد متافئها من

القلوب . وذلك مثل لصبرهم على ما حل بهم .

(٣) يشبه أعداءه بالأسود في عرينها ، ويشبه نفسه وقومه بالليل يغلب

بيظلامه على كل شيء .

لَا يُسَلِّمُونَ الْغَدَاةَ جَاحِثًا

حَتَّى يَزِلَّ الشَّرَافُ عَنْ قَدَمِهِ^(٤)

وَلَا يَخِمُْ اللَّقَاءَ فَارِسُهُمْ

حَتَّى يَشُقَّ الصَّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ^(٥)

مَا بَرَحَ التَّيْمُ يَعْتَزُّونَ وَزُرُ

قُ الْخَطِّ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهِ^(٦)

حَتَّى تَوَلَّتْ جُمُوعُ حَمِيرٍ وَالْفـ

لُّ سَرِيعاً يَهْوِي إِلَى أُمِّهِ^(٧)

(٤) زل الشراك عن القدم : كناية عن الموت ، فهو يمدحهم بحسن الدفاع عن الجار ، وأنهم لا يسلمونه حتى يموت .

(٥) لا يخيم اللقاء : أي لا يجبن عن اللقاء ، فحذف الجر تخفيفاً .
والمعنى : ان فارسهم لا يجبن عن اللقاء ، بل يخرق الصفوف إقداماً لعزة نفسه وكرمها .

(٦) زرق الخط : هي الرماح . وتشفي السقيم : أي الموتور .
(٧) المعنى : مازالوا كذلك يعتزون حتى انهزمت جيوش حمير ، وأسرع كل إلى النجاة بنفسه . والأمم : القصد .

وَكَمْ تَرَ كُنَّا هُنَاكَ مِنْ بَطْلٍ

تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ فِي لِمَةٍ^(٨)

- ٥ -

وَأَنشَدَ مَالِكُ بْنُ حِطَّانٍ ، وَهُوَ جَرِيحٌ فِي مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَمُوتَ^(٩) :

وَمَا ذَنْبُنَا أَنَّا لَفَيْنَا قَبِيلَةَ

إِذَا وَاکَلَتْ فَرَسَانَنَا لَا تُوَإِكِلُ^(١٠)

يَسَاقُونَنَا كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً

وَعَرَّدَ عَنَّا الْمَفْرُقُونَ الْخَنَازِكُ^(١١)

فَمَا بَيْنَ مَنْ هَابَ الْمَنِيَّةُ مِنْكُمْ

وَلَا بَيْنَنَا إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ^(١٢)

(٨) اللمة : الشعر في الرأس . والمعنى : كثيراً ما تركنا في تلك المعركة
من أبطالنا مصرعين ، تعبث الرياح بما تشعث من شعرهم على رؤوسهم .

(*) النقائض ليدن ١٩٠٥ : القسم الأول ص ٢٢ عن مجلة الأقلام : سنة ١

ج ٦ مقال الأستاذ القيسي .

(١) و(٢) و(٣) واكل : اتكل وتقاعس .

عرَّد : فرَّ . المفرقون : الخائفون . الخناكل : القصار الأفعال .

ومعنى الأبيات : ليس ذنباً أننا لقينا فرساناً شجعاناً لا يتقاعسون في

الحرب إذا تقاعس فرساننا ، لقد تساقينا كأس الموت ففر عنا الخائفون الجبناء .

فيا من فر من منيته ليس بين موتك وموتنا ، نحن الذين قتلنا في المعركة ، غير

أيام قليلة ، وستلحق بنا عن قريب وأنت تحمل معك عارك .

النصف في التعادل

٦ -

قال عمرو بن قميئة ، صاحبُ امرئ القيس ، وهو ممن
أُتصفَ في شعره وصدق (*) :

فما أَتَلَفْتُ أَيْدِيَهُمْ مِنْ نَفُوسِنَا
وَإِنْ كَرُمْتُ فَإِنَّا لَا نَنُوحُهَا ^(١)
فَأُبْنَا وَأَبُوءَا كُلُّنَا بِمَضِيضَةٍ
مَهْمَلَةٍ أَجْرَاخُنَا وَجَرُوحُهَا ^(٢)

(*) شاعر قديم صحب امرأ القيس في رحلته الى الروم . فسمي
« الضائع » وهو الذي يذكره امرؤ القيس في شعره : بكى صاحبي ...
والبيتان في الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ : ٣٣٧ .

(١) و(٢) المضيزة : من فعل مضٍ ، يمض ، الحرقه من الهم والحزن ،
مهمله : من الحمل ، وهو المتروك سدى ليلاً ونهاراً .

ومعنى البيتين : لئن كرمت علينا نفوس الذين فقدناهم في المعركة فإننا
نصبر ولا ننوح عليهم ، فقد أصاب أعداءنا الذين قتلونا مثل ما أصابنا وعُدنا
جميعاً نحمل الهم والقلق ، ولا نستطيع تضييد جراحنا ولا يستطيعون تضييد
جراحهم .

- ٧ -

وقال عمرو بن كلثوم^(*):

كَأَنَّ سِوْفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ

مُخَارِقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِنَا^(١)

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ

خُضْبَنٌ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طَلِينَا^(٢)

- ٨ -

وقال الطُّفَيْلُ بْنُ عَوْفٍ الْغَنَوِيُّ^(*):

(*) شاعر تغلب ، من شعراء الطبقة الأولى ، وأم عمرو ليلي بنت المهمل . ساد قومه وهو ابن خمسة عشر عاماً . قتل عمرو بن هند لأنه حاول استخدام أمه في حادثة مشهورة ، وأنشد معلقته ومنها هذان البيتان .

(١) و(٢) معنى البيتين : سِوْفَنَا وسِوْفُهُمْ في أجسادنا وأجسادهم كأنها عصي اللاعبين صاعدة هابطة . وقد كست دماؤنا ودمائهم ثيابنا وثيابهم ، فكأنها مصبوغة بأرجوان . انظر منصفة فروة بن مسيك الثانية ، ففيها بيتان مشابهان في المعاني والألفاظ لهذين البيتين ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(*) شعر طفيل بن عوف الغنوي - كرنكو - ١٩٢٧ ص ٢٤ . عن مجلة الأقلام العراقية : سنة ١ جزء ٦ مقال للأستاذ نوري حمودي القيسي . والطفيل يرثي فرسان قومه ويدكر وقعته بطنيء ، وكيف لقيتهم فزاره فقتلتهم ، فأدر كتهم غني واستقتهم .

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ
وَبِالْمَوْثِقِ الْمَكْلُوبِ مِنَّا مَكْلَبٌ^(١)
وَبِالنَّعَمِ الْمَأْخُودِ مِثْلُ زُهَائِهِ
وَبِالسَّيِّئِ سَيِّئٍ وَالْمُحَارِبِ مُحْرِبٌ^(٢)

- ٩ -

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيُّ ، يُوْعِدُ بَنِي الْحَارِثِ مِنْ بَنِي
الْدِّيَّانِ (*) :

يَا بَنِي الْحَارِثِ أَنْتُمْ مَعْشَرٌ
زَنْدُكُمْ وَارٍ ، وَفِي الْحَرْبِ بِهِمْ
وَلَكُمْ خَيْلٌ عَلَيْهَا فِتْيَةٌ
كَأَسْوَدِ الْغَيْلِ يَحْمِينُ الْأَجْمَ
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ قَبِيلٌ مِثْلَكُمْ
حِينَ يَرْفُضُ الْقَنَا غَيْرُ جُشَمٍ

(١) و (٢) معنى البيتين : قتلنا من أعدائنا مثل من قتلوا منا ، وأوثقنا
منهم عدد من أوثقوا منا ، وأخذنا من أنعامهم مثل أنعامنا ، وسبينا منهم مثل
من سبوا منا ، ونكبنا منهم مثل من نكبوا منا في الحرب . فنحن في النعمة
والنعمة سواء .

(*) حماسة ابن الشجري طبع حيدر آباد ص ١٤ .

لَسْتُ لِلصَّمَّةِ إِنْ لَمْ آتِكُمْ
وَالْخَنَازِيدُ^(١) تَبَارَى فِي اللَّجْمِ

- ١٠ -

مُوقَالَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ الْعَامِرِيُّ^(*):

جَلَبْنَا الْخَيْلَ شَاوِبَةً إِلَيْهِمْ
عَوَابِسَ يَدْرَعْنَ اللَّيْلَ قُودًا
تَبَارَى فِي الْأَعْنَةِ مُصْغِيَاتٍ
حَدَادَ الطَّرْفِ يَعْلِكُنَ الْحَدِيدَا
فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجَنَابًا
كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الْغَابِ الْوُقُودَا
تَنَادَوْا : يَا لَعُمُرٍ لَا تَفِرُّوَا
فَقُلْنَا : لَا فِرَارَ وَلَا صُدُودَا
فَعَارَكُنَا الْكُفَاةَ وَعَارَكُرْنَا
عِرَاكَ الثُّمْرِ وَاجَهَتِ الْأُسُودَا

(١) الخنازيد : مفردها خنذيد وهو البطل .

(*) حماسة ابن الشجري : طبع حيدر آباد ص ٣١ .

وقال فروة بن مُسيك المرادي (*):

تجـاوزنا اللـفيفَ بموشـكات

وزرنا في منازلها السكونا^(١)

ولاقينا فوارسَ غيرَ ميلٍ

عجالَ الطعنِ غيرَ مُعرِّدِنا^(٢)

كأن ثيابنا مِنّا ومنهم

خُضِبْنَ بأرجوانٍ أو طلينا^(٣)

(*) مرت ترجمته ص : ١٢٩ نلاحظ أن هذه المقطوعة والقصيدة السابقة

لشاعر واحد هو فروة بن مسيك ، وأنها من بحر واحد وقافية واحدة فلعلها أن يكونا من قصيدة واحدة . وهذه الأبيات في الوحشيات لأبي تمام ص ٩٤ .

(١) اللفيف : مكان : موشكات : جاء في لسان العرب : أوشك فلان

يوشك إيشاكاً أي أسرع في السير - والموشكات : جمع موشكة وهي الناقة المسرعة - وفي اللسان : ناقة مواشكة : سريعة : والسكون : قبيلة .

(٢) عرّد : فرورجع ، والمعرّد الجبان المتقاعس في القتال .

(٣) و(٤) انظر بيتي عمرو بن كلثوم في معلقته ص ١٣٦ فالصورتان

متشابهتان تماماً وتكاد الألفاظ تكون واحدة .

فآبَتْ خَيْلُنَا قُطْفًا وَفِيهِمْ
نَوَافِدُ مِنْ أَسَنَّتِنَا وَفِينَا ^(٤)

- ١٢ -

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَوْمَ مَعْرَكَةِ صِفِّينَ ؛ يَنْصِفُ أَهْلَ
الْعِرَاقِ ^(*) :

لَوْ شَهِدْتُ جُمْلُ مَقَامِي وَمَوْقِفِي
بِصِفِّينَ يَوْمًا شَابَ مِنْهَا الذَّوَائِبُ
غَدَاةً أَتَى أَهْلُ الْعِرَاقِ كَأَنَّهُمْ
مِنْ الْبَحْرِ لُجٌّ مَوْجُهُ مَتْرَاكِبُ
وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّنَا
سَحَابُ خَرِيفٍ زَعَزَعَتْهُ الْجَنَائِبُ

-- وَقُطِفَ جَمْعُ قُطُوفٍ ، وَالْقُطُوفُ : مِنَ الدَّوَابِّ الْبُطْيَاءِ ، وَالْأُسْنَةُ :
الرِّمَاحُ .

(*) حماسة ابن الشجري ص ٥٢ - ٥٣ .

فقالوا : نرى من رأينا أن تُبايعوا

عليًا ، فقلنا : بل نرى أن تُضاربوا^(١)

فطارت إلينا بالرَّماح كُهاثهم

فطَرْنَا إليهم ، والسيوفُ قواضبُ

ولما أرادوا أن يَقوموا مُقاتلنا

أَبينا عَلَيْهِمُ أن تَزولَ المناكبُ^(٢)

- ١٣ -

وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وشهدَ وقعةَ مرجِ رَاهِطٍ مع

الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ^(*) :

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بِيضَاءٍ شَحْمَةً

لِيَالِي لَاقَيْنَا جُذَامَ وَحَمِيرًا^(١)

(١) في رواية : رأينا .

(٢) أن تَزولَ المناكبُ : كناية عن الفرار ، وتبديل أماكن المعركة ،

ولعلمهم اتقوا فرارهم برفع المصاحف ، وقد كان عمرو صاحب هذا الرأي .

(*) حماسية أبي تمام - رقم ٢٧ -

(١) قوله : « كل بيضاء شحمة » : مثل مشهور .

فلما قرعنا النُّبْعَ بالنُّبْعِ بعضه
ببعضِ أبتِ عيْدانه أنْ تَكْسرَ^(٢)
ولما لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلِيْبِيَّةً
يَقُوْدُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ ضَمْرًا^(٣)
سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا
ولكنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرًا^(٤)



(٢) النُّبْعُ : شجر صلب يعمل منها القسي ، و عيْدانه : أعداؤه الذين
حاربوه ، لأنه شهد لهم بالصبر ، وضرب ذلك مثلاً لتكافؤ الفريقين جلادة وصبراً .
(٣) و (٤) في هذين البيتين شهادة لهم بالغلبة واعتراف لأعدائهم بأنهم أهل

الإنصاف في البغضاء

- ١٤ -

قال علي بن بدّال السلمي (*):

لعمرك إنني وأبا رياح

على طول التجاور منذ حين^(١)

ليُبغِضُنِي وأُبغِضُهُ وأيضاً

يراني دونهُ وأراه دوني^(٢)

فلو أنا على حجرٍ ذُبَحْنَا

جَرى الدَّمِيانِ بالخبرِ اليقين^(٣)

(*) تروى الأبيات في الوحشيات لأبي تمام ص ١٢٥ لمرداس بن عمرو -
والبيت الثالث من شواهد النحاة : الخزاعة : ١٢٩ و ٣ : ٣٤٩ ، وروي ،
أيضاً مع بيتين آخرين للمثقب العبدى . انظر مقدمة الكتاب .

(١) و (٢) و (٣) معنى الأبيات واضح ، وهي إنصاف كامل في البغضاء -
كما يكون الإنصاف في الإخاء ، وصراحة في الكره في الحياة وفي الموت ماثلاً
صراحة .

ملاحظة : قدمنا في النص الأصلي منصفين في الإخاء ، ولا سيما منصفة
أبي عروبة .

التريسي *Academic 82*
Trrissy@hotmail.com

الفهراس

الموضوعات

آ - آ هـ	المقدمة
٣ - ٢٨	المنصفة الأولى : المفضل النكري
٢٩ - ٤٨	المنصفة الثانية : عبد الشارق بن عبد العزى الجهني
٤٩ - ٧٢	المنصفة الثالثة : العباس بن مرداس السلمي
٧٣ - ٨٦	المنصفة الرابعة : الفضل بن العباس اللهي
٨٧ - ١٠٢	المنصفة الخامسة : أبو عروبة المدني
١٠٣ - ١٢٤	المنصفة السادسة : العدیل بن الفرخ العجلي
١٢٥ - ١٤٤	مقطوعات في الانصاف
١٢٧	١ - العباس بن مرداس
١٢٧ - ١٢٨	٢ - شبيل الفزاري
١٢٩ - ١٣١	٣ - فروة بن مسيك
١٣٢ - ١٣٤	٤ - رجل من حمير
١٣٤	٥ - مالك بن حطان
١٣٥	٦ - عمرو بن قميئة
١٣٦	٧ - عمرو بن كلثوم

١٣٧ — ١٣٦	٨ — الطفيل الغنوي
١٣٨ — ١٣٧	٩ — دريد بن الصمة
١٣٨	١٠ — خدّاش بن زهير
١٣٩	١١ — فروة بن مسيك
١٤١ — ١٤٠	١٢ — عمرو بن العاص
١٤٢ — ١٤١	١٣ — زفر بن الحارث
١٤٣	١٤ — علي بن بدال السلمي
١٧٢ — ١٤٥	الفهارس

الأعلام

(أ)

أحمد بن إبراهيم الشيباني : أبو رياش

ت/ ١١٠/ ١٠٦

أحمد أمين : ٧٩/ ٥٤/ ٣٣/ ٣٢/ ٣١

أحمد بن الحسين : أبو الطيب المتنبّي غ

أحمد بن عبد الله : المعري « أبو العلاء »

أ ج/ آ د/

أحمد بن محمد : الخفاجي ٩٣/ ٩١/ ٨٩

أحمد محمد شاكر : ٥/ ٧/ ٥٣/ ٥٤/

١٠٥/ ٨٠

أحمد بن محمد : المرزوقي ٣٣/ ٣٢/ ٣١

٩١/ ٨٩/ ٨٥/ ٥٤/ ٤٦/ ٣٦/

أبو الأخيل العجلي ت/ ١١٠/ ١٠٦

أسماء (صاحبة العباس بن مرداس)

٦٣/ ٦٢/ ٦١/ ٥٥

الأصمعي : عبد الملك بن قريب

الأقرع بن حابس ٥٢/ ٥١

أمرؤ القيس ١٣٥

(ب)

البحثري : الوليد بن عبيد

بشر (محارب من سليم) ٥٤

البغداددي : عبد القادر بن عمر

(ت)

التبريزي : يحيى بن علي

تماضر بنت عمرو بن الشريد : الخنساء

ك/ ٥٢/ ٥١

أبو تمام : حبيب بن أوس

(ث)

ثعلبة بن سيار : ثعلبة بن سير ٩/ ٨/ ٦

٢٥/ ١٩

(ج)

الجاحظ : عمرو بن بحر

ابن الجراح : محمد بن داود

جمل (صاحبة عمرو بن العاص) ١٤٠

أم جميل (زوجة العباس بن أبي لهب)

٧٥

أبو جهل : عمرو بن هشام

جوين « أخو عبد الشارق » ٣٢/٣٣/٣٤/

٤٦/٤٥/٣٦

(ح)

حابس : أبو الأقرع ٥٢

حاتم الطائي آ ، ب

الحارث بن عباد ل

الحارث العجلي ١٠٥

الحارث الواضح ٦/٨/٩/٢٤/٢٥

الحارث بن هشام ع/ف

حبیب بن أوس : أبو تمام ٥٦/٦١/٩١/

١٢٧/١٣٩/١٤١

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٠٧/١٠٨

حرقة بنت النعمان د

الحريري : القاسم بن علي

حزن بن مرداس ٥٢

الحزين الدثلي ٧٦

حسان بن ثابت ٤

الحسين بن علي ٧٨

حصن « أبو عينة » ٥٢

حمالة الخطب : امرأة أبي لهب ٧٥

(خ)

الخالدیان : سعيد بن هاشم ومحمد بن

هاشم

خداش بن زهير ١٣٨

الخفاجي : أحمد بن محمد

الخفاجي : محمد عبد المنعم

خلف الأحمر : خ

الخنساء : تماضر بنت عمرو

(د)

دابغ : عبد عمرو ابن عم العدیل

داود (النبي) ١١٩

دريد بن الصمة آآ / ١٣٧

(ر)

ربيعة بن مكرم آأ

ردينة (صاحبة عبد الشارق) ، ٣٤/٤١

أبو رياح (صاحب علي بن بدال) و/ ١٤٣

أبو رياش : أحمد بن ابراهيم الشيباني

(ز)

الزبيدي : محمد بن الحسن

الزبير بن بكار ٩٣

زفر بن الحارث ١٤١

زهير بن أبي سلمى ض/ظ

زيد « فارس من سليم » ٧٠/٦٩

(س)

سراقة بن مرداس ٥٢

سعد بن مالك ك/ل

سعد بن أبي وقاص و

سعيد بن أبي عروبة ٩٠

سعيد بن هاشم الخالدي : ر/ت/ث/٧/

٧١/٥٧/٥٤/٣٣/٣١

أبو سفيان بن حرب : صخر بن حرب

ابن سلام الجمحي : محمد بن سلام

سلمة بن الحجاج الجهني ٤١/٣١

سلمى وسليمى (صاحبة المفضل النكري)

٦٢/١٣/٧

سليمان بن عبد الملك ٧٨/٧٦

سماك بن خالد الطائي ٩٠

السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر

(ش)

شبيل الفزاري ١٢٧

(ص)

ابنا صحرار : من فرسان زبيد ٦٤

صخر بن حرب : أبو سفيان ٧٨

ابنا صريم : من فرسان سليم ٦٩

الصلتان العبدى ظ

الصمة الجشمي : أبو دريد ١٣٨

(ض)

الضحاك بن قيس الفهري ١٤١

(ط)

أبو طالب « عم النبي » ظ

طه حسين ١١٤

الطبروسي : محمد بن علي

طرفة بن العبد ك

الطفيل بن عوف الغنوي ١٣٦

أبو الطيب المتني : أحمد بن الحسين

(ع)

عامر بن الطفيل الغنوي آ ب

عامر بن معشر : المفضل النكري ر/ث

٣٥/١٣/٨/٦/٥/٣

العامة (صاحبة العدیل بن الفرخ) ١١٨

عبادة بن حريز غ

ابن أبي عروبة المدني : ٩٠
أبو عروبة المدني ش/ث/٨٧/٨٩/٩٣/٩٩
١٤٣

ابن عروبة المدني : ٩٠
أبو عروبة : مهران اليشكري ٩٠
عروة بن صريم « محارب من سليم » ٦٩
عروة بن الورد آ ب
العزى « صنم » ٣١

علي بن بدال و / ١٤٣
علي بن الحسين : أبو الفرج الأصفهاني
١٠٩/١٠٦/٩٣/٩٢/٨٠/٧٧/٥٣

علي بن أبي طالب ١٤١/٧٨
علي بن عبد الله بن العباس ٧٨/٧٧

عمر بن الخطاب ٤٤
عمر بن أبي ربيعة ٧٦
عمر بن هبيرة ت/ ١١٣
عمرو : ابن عم العدیل ١٠٧
أبو عمرو « طليعة جهينة » ٤٢

أم عمرو : ليلي بنت المهلهل
عمرو بن بحر : الجاحظ ح/آ ج/ ٧٠
عمرو بن الشريد ٥٢/٥١
عمرو بن العاص ١٤١/١٤٠
عمرو بن قميئة ١٣٥

العباس بن عبد المطلب . ظ/ ٧٥
العباس بن مرداس : ه/ف/ص/ش/ ٤٩/
١٢٧/٧١/٦١/٥٧/٥٦/٥٣/٥٢/٥١

عبد الرحمن بن أبي بكر : السيوطي ٥٠
عبد السلام محمد هارون : ح/٥/٧/٣١/٣٢/
٨٠/٧٩/٥٤/٥٣/٣٣

عبد الشارق بن عبد العزى « العزيز »
الجهني : ر/١٦/٢٩/٣١/٣٢/٣٥/٤١
عبد العزى بن عبد المطلب : أبو لهب
٧٦/٧٥

عبد العزيز الميمني : ٨٩
عبد القادر بن عمر : البغدادي ٨٠/٥٣/
١٠٥

عبد الله المأمون : ٩٣/٨٩
عبد الله بن مسلم : ابن قتيبة ١٠٥
عبد الملك بن قريب : الأصمعي ٥٧/٥
عبد الملك بن مروان : آ ج/٧٦/٧٧/٨٧/
أبو عبيدة : معمر بن المثنى
عقبة بن أبي لهب : ٧٥

العجير السلوي : ٩٢/٩٠/٨٩
العدیل بن الفرخ العجلي : ١٠٣/ ١٠٦/
١١٧/١٠٩/١٠٨/١٠٧
ابن أبي عروبة ٦٩

عمرو بن كلثوم ١٣٦/١٣٩

عمرو بن مرداس ٥٢

عمرو بن معديكرب/ط/ث/٤٤/٥٣

عمرو بن النبيت الطائي ٨٩/٩٠

عمرو بن هشام : أبو جهل ع/ف

عمرو بن هند خ/١٣٦

عنزة العبسي ن/آ آ

عينه بن حصن ٥٢

(ف)

أبو الفرج الأصهباني : علي بن الحسين

الفرزدق : همام بن غالب

فروة بن مسيك ج/ص/١٢٩/١٣٦

١٣٩

الفضل بن العباس اللهي ث/ش/٧٣/٧٥

٧٦/٧٧/٧٨/٧٩/٨٥

(ق)

القاسم بن علي : الحريري خ/٨٩/٩٣

ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم

قرة : فارس من مراد ٥٦/٦٩/٧٠

ابن قران : فارس من لجيم ٦/٨/٩/٢٥

٢٦

قطري بن الفجاءة م

قيصر : ملك الروم ١٠٧

قين : فارس من بهثة ٣٣/٣٦/٤٥

(ك)

كرنكو ٩٢/١٣٦

كعب بن مالك ٢١

كعب بن مامة آ ب

كال مصطفى ث/٣١/٣٣/٥٤/٩٠

(ل)

أبو لهب : عبد العزى بن المطلب

ليلي بنت المهمل : أم عمرو ١٣٦

(م)

مالك بن حطان ١٣٤

المأمون : عبد الله

المبرد آ د

المنقب العبدي ١٤٣

مرداس « أبو العباس » ٥٢

محمد بن إسحاق س

محمد بن داود : ابن الجراح ٨٩

محمد بن الحسن : الزبيدي ٨٩

محمد بن سلام الجمحي ٥

محمد بن صالح : ابن النطاح ٧٥

محمد بن عبد الله (رسول الله) ٥١

١٢٩/٧٥/٥٢

محمد عبد المنعم : الحفاجي ١٠٦/٧٩

محمد بن علي : الطبرسي ه/ق/ش/ت/٨٠

محمد بن مزيد ٩٣

محمد بن مكرم : ابن منظور ٩٢

محمد بن هاشم : الخالديان ث/ر/ت/٧/

٧١/٥٧/٥٤/٣٣/٣١

محمد يوسف ر/٣١/٣٣/٥٤/٥٧

مخارق (محارب من سليم) ٦٨/٥٤

مرداس بن عمرو ١٤٣

مسور بن زيادة ص

معاوية بن أبي سفيان : ابن هند ٧٨

معبد (محارب من سليم) ٦٨/٥٤

معبد بن علقمة س

المعري « أبو العلاء » : أحمد بن

عبد الله

معمر بن المثنى : أبو عبيدة ٥٣/٥٢

المفضل النكري : عامر بن معشر

مهران اليشكري : أبو عروبة ٩٠

مهلهل بن ربيعة س/ش/ث

(ن)

النضر بن شميل ٩٣/٨٩

أبو النجم العجلي ١٠٩/١٠٥

ابن النطاح : محمد بن صالح

النعمان بن المنذر ذ

نوري حمودي القيسي آ/١٣٤/١٣٦

(و)

وكيع (أحد بني الطاغية) ١٠٨

الوليد بن عبد الملك ٧٨/٧٦

الوليد بن عبيد : البحري ٦١/٥٦/٣١

١١٣/١٠١/٩٠

(هـ)

هارون : عبد السلام محمد هارون

الهذيل بن مشجعة البولاني ٩١/٩٠/٨٩

همام بن غالب : الفرزدق ١٠٨/٩٢/٧٦

١٠٩

ابن هند : معاوية بن أبي سفيان

(ي)

ياقوت ٨٩

يحيى بن علي : التبريزي ت/٧٩/٨٥/٨٩

١٠٦/٩١/٩٠

يزيد بن معاوية ٧٨

القبائل والأقوام

(أ)	الأحامس ٥٣
(ب)	بنو أد ١٢٠
(ج)	بنو أمية ب / ٧٦ / ٧٧ / ٧٨ / ٧٩
(د)	٨٥ / ١١٠ / ١١١
(هـ)	بنو بكر بن وائل ل / ١٠٨ / ١٠٩
(و)	بهثة ٣٢ / ٣٣ / ٣٤ / ٣٦ / ٣٧ / ٤٣
(ز)	تغلب ل / ١٣٦
(ح)	التيمن ١٣٢ / ١٣٣
(ط)	جدام ١٤١
(ي)	جشم ١٣٧
(ق)	جهينة ٣١ / ٣٢ / ٣٤ / ٣٦ / ٣٧ / ٤٣
(ك)	الرباب ١٢٠
(ل)	الخفاف ص / ١٢٧
(م)	حمير ١٣٢ / ١٣٣ / ١٤١
(ن)	حيي (قبيلة) ٦ / ٢٤
(س)	الحارث (قبيلة) ١٣٧
(ع)	دارم ١٢٠
(ف)	دوسر « فيلق » ذ
(غ)	الديان : قبيلة ١٣٧
(ق)	ذكوان ص / ١٢٧
(ج)	جدام ١٤١
(د)	جشم ١٣٧
(ذ)	جهينة ٣١ / ٣٢ / ٣٤ / ٣٦ / ٣٧ / ٤٣
(ر)	الرباب ١٢٠

ربيعه ١٢١ / ١٢٢

رغل ص / ١٢٧

الروم ١٣٥

(ز)

زبيد ٥٤ / ٥٧ / ٦٤

زياد « قبيلة » ث

(س)

سعد ١٩ / ١٢٠

السغد ١١٩

السكون ١٣٩

سليم ص / ٥١ / ٥٣ / ٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧

(ش)

شن « قبيلة » خ

الشهباء « فيلق » خ

شبيان ١٠٦

(ص)

صهار « قبيلة » ٥٤

(ط)

طيء ١٣٦

(ع)

العباسيون (بنو العباس) ١١١ / ٣١٤

عبد شمس ٧٨

عبد مناة ١٣٢

عجل ١٠٨

عدوان ١٢٠

العرب آ / ج / د / هـ / ط / ن / ٦٢ /

٦٣ / ٧٥ / ٩٣ / ١١٣

عمرو : قبيلة ١١٢ / ١٢٠ / ١٣٨

عمرو بن أد ١٢٠ / ١٢١

عمرو بن عوف ٨ / ٩ / ٢٠

العمور ٨ / ٩

عوف ١٢٠

(غ)

غني ١٣٦

(ف)

فزارة ١٣٦

(ق)

قيس م / آ ج / ١٠٦ / ١١٢ / ١٢٠

(ك)

كعب ي

كندة ١٢٩

(ل)

لجيم ٢٧/٦

لكيز ٢٤/١٥/٨/٦

(م)

مراد ج/٥٣/٥٤/٥٥/٥٦/١٢٩

المربديون ح

المسجديون ح

المسلمون ف

المشركون ف

مضر ١٢٢/١٢١

معد ١٢١

الملحاء « فيلق » ذ

المنذر « آل » ذ

(ن)

نزار ١٢٢/١٢١/١١٩/١١١

نكرة ه

نهد ي

(هـ)

هاشم ٧٩/٧٨/٧٧/٧٥

هلال ٩٢

همدان ج/١٢٩

الأماكن والأيام

حيدر آباد ف/١٠٨/١٣٧/١٣٨	(أ)	أثال « بطن » ١٤/٨/٦
(خ)		أجا « جبل » ١٠٧
خراسان ١١٣		الأرنب « يوم » ث
الخط ١٣٣/١١٩/٧٢	(ب)	
الحيف ٥٣		البحرين ١٦
(د)		بدر « غزوة » ع
دار الكتب المصرية ١٠٥/٩٢/٩١/٨٩		البسوس « حرب » ل
(ذ)		بولا ق ١٠٥/
ذو الطرفاء ٢١/٦	(ت)	
ذو طريف ١٧/١٦/٦		تثليث ٥٣
ذو قار « معركة » ١٠٩	(ث)	
(ر)		ثبير س
راكس ٦١	(ح)	
رحرحان ٦١		حنين ١٠٧

الرزم « يوم » ١٢٩	فردق ١٩ / ٢٠
(ز)	(ق)
زمنوم ٧٨	قديد ٥١
(س)	(ك)
السد ١٢٣	الكعبة ١٠٨
سامى « جبل » ١٠٧	(ل)
(ش)	اللفيف ١٣٩
الشام ٧٧ / ١٨	ليدن ١٣٤
(ص)	(م)
صفين « معركة » ١٤٠	مرج راهط « موقعة » ١٤١
(ط)	مرو ٩٣
طفل ٢٠ / ١٩	مكة س / ف / ٥١
(ع)	(ن)
العراق ١١٣ / ١٤٠	نجد ١٠٨
العراقان ١١٣	(هـ)
عسيب ٦٢	الهند ١١٩
عنيزة « يوم » س	(ي)
(غ)	اليوموك « موقعة » ف
غنية ١٦	اليامة ١٦
(ف)	اليمن ٥٣
فارس ١١١	

التريسي *Academic 82*
Trrissy@hotmail.com

فهرس القصائد المنصفة

الصفحة	البحر	
		إني وإن كان ابن عمي غائباً
٩٩	البحر الكامل	لمزاحم من دونه وورائه
		لو شهدت جمل مقامي وموقفي
١٤٠	البحر الطويل	بصفين يوماً شاب منها الذوائب
		قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم
١٣٧	البحر الطويل	وبالموثق المكلوب منا مكلّب
		فما أتلقت أيديهم من نفوسنا
١٣٥	البحر الطويل	وإن كرمت فإننا لانتوحها
		أيا لهفي على من كنت أدعو
١٢٧	البحر الوافر	فيكفيني وساعده الشديد
		جلبنا الحيل شازبة إليهم
١٣٨	البحر الوافر	عوابس يدرعن الليل قودا
		ألا يا أسامي ذات الدماليج والعقد
١١٧	البحر الطويل	وذاث الثنايا الغرو الفاحم الجعد
		وكنّا حسبنا كل بيضاء شحمة
١٣١	البحر الطويل	ليالي لاقينا جذام وحميرا

- لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر منها رحرحان فرا كسا
الطويل ٦١
- هزمننا إذ لقينا جيش رعلٍ وذكواناً وجمع بني خفافٍ
الوافر ١٢٧
- ألم تر أن جيرتنا استقلوا ففنتنا ونيتهم فريقُ
الوافر ١٣
- وما ذنبنا أنا لقينا قبيلةً إذا واكلت فرساننا لاتواكلُ
الطويل ١٣٤
- من رأى يومنا ويوم بني التيم إذا التف صيقه بدميه
الحفيف ١٣٢
- يا بني الحارث أنتم معشر زندكم واري وفي الحرب بهم
الرملي ١٣٧
- مهلاً بني عمننا مهلاً موالينا لاتنبشوا بينا ما كان مدفونا
البيسط ٨٥
- تجـاوزنا اللفيف بموشكاتٍ وزرنا في منازلها السكونا
الوافر ١٣٩
- كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبيننا
الوافر ١٣٦
- ألا حيث عنا يارديننا نحيتها وإن كرمت علينا
الوافر ٤١

البحر الصفحة

إِنْ نَهْزَمْ فَهْزَامُونَ قَدْ مَاءً وَإِنْ نَهْزَمْ فَغَيْرُ مَهْزَمِينَا

الوافر ١٢٩

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رِيَّاحٍ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مِنْذُ حِينِ

الوافر ١٤٣

★ ★ ★

التريسي *Academic 82*
Trrissy@hotmail.com

القوافي (*)

الصفحة	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	القافية	صدر البيت
(أ)					
٩١	أبو عروبة المدني	الكامل	١	جربائه	وإذا تعرقت
ت	أبو عروبة المدني	الكامل	١	وورائه	إني وإن كان
(ب)					
م-ن	قطري بن الفجاءة	الطويل	٢	المقشبا	ألا أيها الباغي
ث	عمرو بن معد يكرب	الكامل	١	الأرنب	عجّت
٧٥	الفضل اللهي	الرمل	١	العرب	وأنا الأنخضر
(ح)					
م-ل	سعد بن مالك بن ضبيعة	مجزوء الكامل	٩	فاستراحوا	يابؤس

(*) أثبتنا في هذا الفهرس الأشعار التي سقناها في البحث والشروح .

الصفحة	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	القافية	صدر البيت
٧٨	الفضل اللهبي	الخفيف	٢	منها الوليد	غبد شمس
ط-ي	عمرو بن معد يكرب	جزوء الكامل	٥	عندي	أعددت
ت	أبو الأخيل العجلي	الطويل	١	الجعد	إلا يا إلهي
ف	الحارث بن هشام	الكامل	٤	مزبد	الله يعلم
		(د)			
٥٢	العباس بن مرداس	الوافر	٣	مزير	تري الرجل
١٠٩	العديل بن الفرخ	الطويل	٣	صفرا	أفي اخلق
١٠٩	العديل بن الفرخ	البيسط	٣	موقدي النار	ما أوقد
س	مهمل	الوافر	١	ثبير	غداة
س	مهمل	الوافر	١	مدبر	كأنا غدوة
١٠٩	أبو النجم العجلي	الرجز	١	حدري	أنا أبو النجم
		(ز)			
ك	الحنساء	المتقارب	٤	وعزا	تعرفني

الصفحة	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	القافية	صدر البيت
		(س)			
٥٦	العباس بن مرداس	الطويل	٤	فوارسا	فلم أر
ش	العباس بن مرداس	الطويل	١	فراكسا	لأسماء ربيع
٥٣	عمرو بن معد يكرب	الطويل	٢	الأحامسا	أعباس
٥٣	عمرو بن معد يكرب	الطويل	١	كوانسا	لمن طلل
		(ض)			
١٠٧	العديل بن الفرخ	الطويل	٢	عريض	ودون يد
		(ع)			
١١٤	البيهقي	الطويل	٢	قطوعها	شواجر
٥٢	العباس بن مرداس	المقارب	٣	والأقروع	فأصبح
		(ف)			
ص	العباس بن مرداس	الوافر	٢	بني خفاف	هزمننا
		(ق)			
٤	عامر بن معشر بن أسهم	الوافر	١	فريق	ألم تر

الصفحة	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الغافية	صدر البيت
١٠٩	العديل بن الفرخ	الطويل	١	المفارق	فإن تلك
٢١-ح	كعب بن مالك	الكامل	١	المحرق	من سره
٧٧	شاعر	الرجز (ك)	٣	مشاكا	يا أيها البكر
١٠٧-١٠٨	العديل بن الفرخ	الطويل	٣	دليل	فلو كنت
١٠٩	الفرزدق	الطويل	٢	الخلائل	وما ولدت
ص	مسور بن زيادة الحارثي	الطويل	١	بكل كل	أنختم علينا
		(م)			
أد	أبو العلاء المعري	الطويل	١	جزم	ولم يأت
غ	عبادة بن حريز	الطويل	١	يظلم	أرى النصف
غ	المتبي	الكامل	١	لا يظلم	والظلم
د	حرقه بنت النعمان	الخفيف	١	الكريم	حاط لي
ظ	العباس بن عبد المطلب	الطويل	٣	وتظلمها	أبا طالب

الصفحة	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	القافية	صدر البيت
غ	السلطان العبدى	مجزوء الكامل	٢	الأخرى	اغش الأمور
ع	معبد بن علقمة	الطويل	٣	للمتشم	فقل لزهير
ظ	زهير بن أبى سلمى	الطويل	١	يظلم	ومن لا يذد
ع	حسان بن ثابت	الكامل	٢	هشام	إن كنت
ن	عنتره	الكامل	٣	مستسلم	ومدحج

(ن)

ش	الفضل المبهى	البسيط	١	وتؤذونا	لا تظلمعوا
ح ١٦	عبد الشارق الجهنى	الوافر	١	وازعينا	وجاؤوا
ش	عبد الشارق الجهنى	الوافر	١	علينا	ألا حيت
٣٣	عبد الشارق الجهنى	الوافر	١	وهم علينا	فمن يونا
ج	فروة بن مسيك	الوافر	٣	مهمينا	إن نهم
خـد	لعلمها خلف الأحمر	الرملى	٩	شنا	قل لعمر و
و	على بن بدال السلمى	الوافر	٣	مند حين	لعمرك

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>عدد الأبيات</u>	<u>القافية</u>	<u>صدر البيت</u>
٥٢	العباس بن مرداس	الوافر	١	أم سواها	أعشده
٧٩	زفر بن الحارث	الطويل	١	كاهيا	وقد نبت
٧٨٠٧٧	الفضل المهدي	الرجز	٣	بدري	ياها السائل

تَبَت المصادر

المؤتلف والمختلف	سمط اللآلي	الأشباه والنظائر
المبهج	شرح درة الغواص	الاشتقاق
مختصر تذهب الكمال	شرح شواهد المغني	الأصمعيات
معجم الأدباء	الشعر والشعراء	الأغاني
معجم الشعراء	طبقات الشعراء	البيان والتبيين
الموشح	طبقات النحويين	حديث الشعر والنثر
النقائض	القاموس المحيط	حماسة أبي تمام
الوحشيات	القرآن الكريم	حماسة البحتري
	كتاب بكر وتغلب	حماسة ابن الشجري
	الكتاب « سيويه »	الحيوان
	لسان العرب	خزانة الأدب
	اللزوميات	درة الغواص

جدول التظييمات

١٢	ع	كاذبة	كاذبة
٥	ذ	تساعاً	تساعاً
٢	١٠	الحقوق	الحقون
١٠	١٠	المنصفات	المصنفات
٤	٤٥	فتية	فتية
١٧	٤٥	قنياً	قنيا
٥	٦٩	قرة	قرة
٥	١٠٩	الحلائل	الحلائل
٦	١٠٩	وائل	وائل
٥	١١٤	١١٤	٣١٤
١١	١٣٨	لعمرو	لعمرو

التريسي *Academic 82*
Trrissy@hotmail.com

١٩٦٧ / ٣ / ٢٠٠٠